يتسحاك رابين

1922-1995
نبذة قصيرة

مركز يتسحاك رابين
المتحف الإسرائيلي

يتسحاك رابين | 1922-1995
نبذة قصيرة

بقلم:
براخا اشل
مركز يتسحاك رابين

استشارة أكاديميّة:
البروفسور موتي غولاني

الطفولة والعائلة

ولد يتسحاك رابين في أورشليم القدس، في الأول من آذار عام 1922، وهو الابن البكر لوالديه، روزا كوهين ونحميا رابين (روبيتشوف). وصلت روزا كوهين إلى البلاد، في عام 1919 على متن السفينة "روسلان" ضمن "عليا الثالثة" الموجة الثالثة من الهجرة اليهودية إلى البلاد، وانضمت للطلائع في كينيرت. بينما قدم والده إلى البلاد من الولايات المتحدة كجندي ضمن الفرقة اليهودية. وكان ضمن تعداد أعضاء " لجنة الهاجاناه" الذين خرجوا للدفاع عن الحي اليهودي في أورشليم القدس عندما تعرض لهجوم، كما وكانت روزا من بين المتطوعين أيضا.

تزوج والدا رابين في عام 1921، ثم انتقلا للسكن في حيفا. حيث عملت روزا هناك كمديرة حسابات، لكنها خصصت جل وقتها للدفاع عن حقوق العمال وللاهتمام بأمور "الهاجانا"، فشغلت في هذا الإطار، منصب قائد المدينة. أما نحميا فقد عمل في شركة الكهرباء في نهاريم منذ تأسيسها هناك.

ولد يتسحاك في الأول من آذار من العام 1922 أثناء زيارة عائلية قامت بها روزا لأورشليم القدس، لكنه قضى طفولته في تل أبيب التي انتقلت إليها العائلة في عام 1923.

ولدت أخته،راحيل، في عام 1925، بالرغم من ذلك واصلت روزا عملها كمديرة حسابات، وكذلك نشاطاتها الجماهيرية ضمن "الهاجانانا"، في بلدية تل أبيب، في "الهستدروت" وفي جهاز التعليم. كما وكانت إلى جانب ذلك كله أذنا صاغية لجميع المعوزين في المدينة.

تُعد روزا من بين الذين أنشئوا "بيت هحينوخ ليلدي هعوفديم" في تل أبيب، كما وساهمت في جميع مجالات النشاطات التربوية. يعتبر يتسحاك وراحيل من طلاب "بيت هحينوخ ليلدي هعوفديم" حيث ذكر رابين في مذكراته أن "بيت هحينوخ" كان بمثابة بيته الثاني.

نظرا للنشاطات الكثيرة التي قامت بها روزا، لخدمة المحتاجين في المدينة، ولمساهمتها في مواضيع اجتماعية ولمواقفها غير المتهاونة، عرفت في المدينة بلقب "روزا الحمراء". في حين شغل نحميا مناصب في "الهاجانا"، في الاتحاد المهني وفي الهستدروت.

يقول رابين " لقد استوعبت في بيت والداي مجموعة من القيّم كانت موجها لي طوال حياتي".

"لقد تحدد طريقي بشكل حاسم بإيحاء من شخصية والداي، حيث ساد في البيت على الدوام الشعور بأنك في مهمة"

روزا كوهين وولديها يتسحاك وراحيل، 1927
بلطف، راحيل رابين - يعكوف

سنوات الدراسة

لقد وضع «بيت هخنوخ» له هدفا، سعى من خلاله إلى بلورة جيل أبناء الطلائع « يشوف» المجتمع اليهودي في فلسطين وأعضاء الحركة العمالية، وفق روح رؤيتهم: «سابرا» اليهودي من مواليد إسرائيل الذي له ارتباطا بطيف البلاد، يعرف تاريخها، يفلح أرضها، ويحميها ممن يتحرش بها، ومستعد للتجند للقيام بكل مهمة لأجلها.

درّس في «بيت هحنوخ» أفضل المدرسين. كما وكانت المدرسة تُدار بشكل ديمقراطي حيث ساهم طلابها في وضع أنظمة المدرسة. زد على ذلك تم دمج العمل اليدوي مع التعليم من خلال العمل في الزراعة والحرف والرحلات بهدف التعرف على البلاد. إلى جانب ذلك شارك الطلاب في نشاطات اجتماعية، وانضم طلاب الصفوف العليا إلى حركة «هنوعر هعوفيد» التي تم خلالها تجلي صلتهم بالعمل. حيث شكل هذا النشاط الاجتماعي جزء لا يتجزأ من حياة الطلاب.

انكشف الطلاب خلال هذه السنوات لنظريات المفكرين الاشتراكيين من اليهود وغير اليهود. لقد ابدى رابين اهتماما كبيرا بأفكار هؤلاء المفكرين. اكمل رابين تعليمه الثانوي في المدرسة الزراعية جبعات هشلوشه التي كانت والدته من بين مؤسسيها.

لقد واصلت هذه المدرسة التراث التربوي الذي انتهجته مدرسة «بيت هحنوخ» في تل أبيب.

لم تكن الدراسة في جبعات هشلوشه إلا مجرد محطة من المحطات التي صادفت طريق وصوله إلى مراده — المدرسة الزراعية «خضوري» في كفار تابور. التي تم تدشينها في عام 1930 وكانت شهرتها تسير أمامها بسبب مستواها النظري الرفيع، وطابع الحياة الخاص الذي نمى بين طلابها ومدرسيها. لقد درس في «خضوري» الكثيرون من افضل أبناء أعضاء «هتيشقوت هعوبيدت». لقد وجد رابين هناك مكانه، لكن مرض والدته الذي ازداد عليها قد شوش عليه وجوده في «خضوري ».

في الثاني عشر من تشرين الثاني من العام 1937، عندما كان في سن الخامسة عشرة، توفيت والدته، حيث جعله غيابها يبكيه أياما كثيرة.

تعرضت المدرسة أثناء الثورة العربية التي نشبت ضد البريطانيين (1936 — 1939)، أيام «الأحداث»)الثورة الكبرى(إلى هجوم من قبل العرب القاطنين في المنطقة، مما حدا بطلابها إلى التعرف عن قرب على «المشكلة العربية».

تم على أثر ذلك تجنيد طلاب المدرسة إلى صفوف «الهاجانا» وشرعوا بالتدريب استعداد للقادم. في تلك الأيام التقى رابين، بيجئال الون، الذي كان أحد خريجي مدرسة «خضوري»، حين قدم لتريب الطلاب على السلاح، حيث نشأت بين الون، الذي أصبح فيما بعد قائدا للبلماح، وبين رابين علاقة صداقة استمرت مدى حياتهما.

تعلم رابين في «خضوري» طرق الدراسة حيث تألق في ابداء مهاراته مما جعله يحصل في نهابة دراسته على شهادة امتياز من المندوب السامي البريطاني، وعلى منحة دراسية أيضا. خطط رابين لدراسة الهندسة الهيدروليكية في جامعة بيركيلي في الولايات المتحدة، لكنه نظرا للوضع الأمني اقلع عن خطته وانضم إلى زملائه في كيبوتس رمات يوحنان، وهنا تم تجنيده لأول مرة للعمل العسكري الميداني.

«في السن الذي يزهر فيه الحب، في سن الساسة عشرة، وضعوا في يدي بندقية لكي أدافع عن نفسي — وللأسف الشديد، لكي أقتل عند التعرض للخطر... ظننت أن الهندسة الهيدروليكية هي المهنة الأهم في الشرق الأوسط القاحل... لكنني اضطررت إلى الامساك بالبندقية»

البلماح

وصلت في العام 1941 جيوش المانيا النازية إلى الشرق الأوسط. مما جعل الخطر يحدق باليشوف من الجنوب ومن الشمال. وسط هذه الظروف قررت قيادة الـ «هههجاناه» تشكيل ذراعا عسكريا لها — «هبلماح» (الفرقة الضاربة) حيث كان رابين من بين الأوائل الذين انضموا إلى صفوفها.

نشطت البلماح خلال سنواتها الأولى بالتعاون مع البريطانيين حيث خرج رابين ضمن هذا الإطار من التعاون بمعية رفاقه إلى لبنان التي كانت آنذاك تحت حكم جيش فيشي الذي تعاون مع النازيين فكانت هذه هي مشاركته القتالية الأولى.

بعد هزيمة الالمان في معركة العلمين ببضعة شهور انتهى التعاون بين البريطانيين وبين «الهاجانا» كما وتوقف تمويل البريطانيين للبلماح. منذ ذلك الوقت اضطرت البلماح إلى تمويل عملياتها بنفسها. مكن الاتفاق مع الحركة الكيبوتسية البلماح من أنشاء معسكراتها في الكيبوتسات، وتمويل علمياتها العسكرية من عائدات العمل في مرافق الكيبوتس حيث دخلت البلماح في عهد «العمل والتدريب». أثارت الحرب الضارية التي خاضها العالم الحر ضد النازيين والأخبار الواردة حول مصير يهود أوروبا التفكير لدى الكثيرين في التجند لصفوف الجيش البريطاني. وسط هذا النقاش المعمق الذي دار في خيام البلماح حول هذه المسألة، تم تسليم قيادة البلماح لرابين الذي رأى أن تشكيل قوة عسكرية ذاتية لليشوف في ذلك الوقت هو الدور الأهم. فقبل غالبية مقاتلو البلماح قرار القيادة وبقوا في البلاد وفي الحين ذاته لم يقتصر الحال على ذلك بل انضم إلى صفوف البلماح مقاتلون جدد أيضا.

تم على أثر توسيع البلماح وتنظيمه في كتائب، تعيين رابين نائبا لقائد الكتيبة الأولى، ولواحد من قادة الدورة المخصصة لقادة الطواقم التي تم تنظيمها في جوعرة الواقعة في جبال افرايم. حيث تم من خلال هذه الدورات تطوير وصياغة قواعد البلماح القتالية، وتم تجهيز جيل القادة القادم. تعين رابين في العام 1943 ليصبح قائد فصيل (وحدة العمليات الخاصة) حيث اكتسب شهرة كمن يحل المشاكل المعقدة، مما جعل قادة البلماح الكبار يستشيروه في تلك الفترة.

من اليسار لليمين: يتسحاك رابين، موشيه نتسر وموشيه برخمان، 1942
بلطف راحيل رابين - يعكوف

لقد فتح انتهاء الحرب العالمية حقبة جديدة، انتهت من خلالها السياسة التي تبنتها قيادة اليشوف «السكان اليهود في فلسطين» خلال الحرب وهي «محاربة الكتاب الأبيض وكأن ليس هنالك حربا ومحاربة هتلر وكأنه لا يوجد كتابا أبيضا». حيث تجهر اليشوف من هذه اللحظة لخوض حربا ضارية ضد الحكم البريطاني، ضد «الكتاب الأبيض» الذي حظر على من نجى من المحرقة الدخول للبلاد. في الحين الذي كانت الوكالة الصهيونية تعمل ضمن الحلبة السياسية والقانونية ، عمالت «الهاجنا» ضمن الإطار غير القانوني. تسبب تفاقم السياسة البريطانية المنتهجة ضد اليشوف في إثارة غضب شديد، وأدت لأول مرة إلى التعاون بين البلماح وبين المنظمتين السريتين التي كانتا تنشطان ضد البريطانيين ليس ضمن إطار «الهاجنا» — الاتسل وهليحي حيث تم تشكيل «حركة المقاومة اليهودية «.

كانت العملية الأولى التي قامت بها حركة المقاومة اليهودية هي اقتحام سجن عتليت، الذي احتجز فيه البريطانيون القادمين الجدد غير الشرعيين الذين وصلوا إلى البلاد. حيث تم تكليف الكتيبة الأولى التابعة للبلماح لتولي هذه العملية فقامت القوة التي بلغ تعداد أفرادها 50 مقاتلا كانوا تحت قيادة رابين في الأول من تشربن الأول من العام 1945 باقتحام المعسكر حيث نجحت العملية وتم اطلاق سراح القادمين الجدد. لقد اجتاز رابين في هذه العملية امتحان القيادة الأول في قيادة قوة عسكرية بنجاح، وهناك التقى للمرة الأولى وجها لوجه بالناجين من المحرقة النازية حيث تركت تجربة هذا اللقاء أثارها في نفسه.

مست عمليات «حركة المقاومة اليهودية» مسا شديدا بنسيج العلاقات اللين الذي كان يسود بين اليشوق اليهودي وبين الحكم البريطاني، كما وكانت محط اختلاف بين أوساط إدارة الوكالة اليهودية أيضا — قيادة اليشوف المنتخبة. قرر البريطانيون انهاء هذه العمليات.

فبدؤوا بعملية كبيرة انطلقت يوم السبت، لذلك سمي فيما بعد «بيوم السبت الأسود»، الموافق 29 من شهر حزيران من العام 1946 بعملية عسكرية تم التخطيط لها مسبقا وكانت واسعة النطاق واستمرت 12 يوما. تم خلال العملية مصادرة أسلحة كثيرة كانت قد جمعت على مدار سنوات طويلة داخل مخابئ سرية تابعة للبلماح و»الهاجانا» كما تم اعتقال قادة اليشوف الذين كانوا تحت قبضة البريطانيين.

رابين الذي كان ملازما لبيته بسبب إصابته جراء حادث كان قد تعرض له، أعتقل مع والده وأرسل إلى معسكر الاعتقال في رفح حيث قضى فيه خمسة أشهر، لكنه عاد فور إطلاق سراحه لنشاطاته ضمن البلماخ.

شكل يوم «السبت الأسود» ضربة قاسية لليشوف اليهودي.

مما حدا بالقيادة السياسية الصهيونية إلى عقد اجتماع في باريس في الثامن من شهر آب من العام 1946 وقررت إيقاف عمل حركة المقاومة اليهودية والتركيز على المسار السياسي الرامي إلى إقامة دولة يهودية. كما وتقرر بأن تتمحور نشاطات الـ «هجاناه» اعتبارا من الآن في حملات قدوم المهاجرين إلى البلاد والتوطين، ومثلها حشد البلماح كامل قواه لهذه المهمة أيضا. من هنا عُد أعضائه من بين منظمي الهجرة غير القانونية إلى البلاد، التي أصبحت من الآن فصاعدا هي والقادمين الجدد الذين قدموا بواسطتها وأسسوا البلدات الجديدة التي وسعت خريطة الاستيطان اليهودي، تعبيرا رئيسيا لعصيان اليشوف المدني. أخذ دافيد بن غوريون في مطلع العام 1947 ملف الأمن على نفسه وذلك لأنه أدرك بأنه ينبغي على اليشوف الاستعداد لحرب كبيرة ستكون بحجم لم يعهدها اليشوف في الماضي. وبأن على المسؤولين عن الأمن الاستعداد لخوض حرب من الدول العربية أيضا. مثل رابين لاحقا رؤية الآتي التي رآها بن غوريون في تلك الأيام كتعبير واضح عن قيادته وقراره بخصوص سلّم أولويات القوة كقرار تاريخي.

تم في هذه المرحلة تعيين رابين قائدا لكتيبة البلماح الثانية، لكنه لم يشغل هذا المنصب إلا أشهر معدودة فقط. حيث تم تعينه في تشرين الأول من العام 1947 ضابط العمليات في البلماح.

«عبر لبيلماح من خلال طابع حياته عن جيل المتطوعين من اليهود من موالد فلسطين، هذا الجيل المستعد للعمل لأجل إعالة نفسه. كما وعبر عن نوع من الإسرائيلي الجديد، شخصية تسحق التقليد من قبل الشباب حيث يجري الحديث عن الحاجة للاكتفاء بالقليل وبنفس الاستعداد الساذج والحقيقي الذي كنت اتمتع به أنا ورفاقي لنضحي بأنفسنا من أجل الشعب. وأنا أقول لك هكذا عشت — وهذه الحاجة تلازمني»

قائد أثناء حرب الاستقلال

قررت هيئة الأمم المتحدة في التاسع والعشرين من تشرين الثاني من العام 1947 تقسيم فلسطين. قبلت قيادة اليشوف المنتخبة هذا القرار، بينما رفضه العرب الذي كان ردهم الفوري على ذلك القرار شن «الحرب على الطرق»، التي تجلت في شن هجمات على سيارات اليهود التي تسير على الشوارع. تم في مرحلة متأخرة تسمية هذه المرحلة، على أنها أولى مراحل حرب الاستقلال. كان البلماح الذي أعد رجاله على مدار سنوات لهذه المهمة، هو القوة العسكرية الأساسية التي خاضت الحرب منذ بدايتها. كانت إحدى الطرق التي تمت مهاجمتها منذ 30 تشرين الثاني، الطريق الموصل بين السهل الساحلي وأورشليم القدس.

بصفته ضابط العمليات في البلماح وكمسؤول عن التنسيق مع قيادة «هجاناه» العامة اهتم رابين بشكل خاص بتعزيز قوة البلماح بالسلاح وبالقوى البشرية. كما وكان مسؤولا عن تأمين طريق الوصول لأورشليم القدس، لأن طرق المواصلات إلى المدينة كانت واقعة تحت هجمات العرب الذي خرجوا لمهاجماها من القرى المجاورة التي كانت تطل على هذه الطرق، وكذلك كان إلى جانب ذلك مسؤولا عن تنظيم قوافل السيارات لأورشليم القدس.

رفض رابين الخط الدفاعي الذي كان متبعا ازاء تسيير القوافل إلى أورشليم القدس ودعى إلى القيام بعمليات هجومية ضد القرى التي تشكل قواعد انطلاق لمهاجمي القوافل.

تم في منتصف نيسان من العام 1948 تعين رابين وهو لا يزال في سن 26 ربيعا، قائدا للواء «هارئيل». بصفته قائدا لهذا اللواء كان أحد قادة «معركة النبي صموئيل الثانية» التي جرت قبيل جلاء البريطانيين من أورشليم ومن المناطق المحيطة بها. كان هدف المعركة احتلال مواقع رئيسية في عمق المدينة والاستيلاء عليها. لقد اكتسب رابين تجربة قيادية كبيرة خلال هذه المعركة حيث قام خلالها بتركيز القوى الرئيسية داخل المدينة، مع ذلك لم يتم حسم مصير الطريق المؤدية إليها مما حدا برابين إلى العودة ومعه كتيبته إلى القتال لأجل فتح الطريق إلى المدينة.

مكث رابين في الرابع عشر من أيار من العام 1948، يوم اعلان قيام الدولة مع قواته المنهكة في موقع القيادة الكائن بالقرب من كيبوتس معاليه هحميشا. لقد نقشت هذه الأيام في ذهن رابين على أنها الأيام الأصعب من بين جميع سنوات خدمته العسكرية، لأنه كان قائدا لفتيان في ريعان الشباب لم يعودوا من الحرب. كما وشكلت هذه الأيام بالنسبة به موضع لمحاسبة النفس على دخول القوات اليهودية الحرب وهي غير مستعدة. حال الانتهاء من قيادته لكتيبة «هرئيل» عُد رابين ضمن كبار قادة البلماح.

مع يجئال الون، 1949
بلطف ارشيف جيس الدفاع الإسرائيلي
وجهاز الأمن

في الحادي عشر من حزيران دخلت الهدنة الأولى حيّز التنفيذ، حيث تم في ظل هذه الهدنة اقتحام «طريق بورما» الجديد المؤدي إلى أورشليم القدس والذي مكن من توريد الطعام والسلاح إلى سكان المدينة المحاصرة.

كان أحد القوانين الأوائل التي سنها «مجلس الشعب» الجديد، هو قانون «جيش الدفاع الإسرائيلي» الذي تمت المصادقة عليه في 31 أيار 1948 وبموجبه تم تشكيل «جيش الدفاع الإسرائيلي».

بموجب الاتفاق الذي تم التوصل إليه مع قادة الاتسل وهليحي تقرر نزع سلاح المنظمات السرية اليهودية وتسليم الأسلحة الموجودة بحوزتها إلى جيش الدفاع الإسرائيلي، بما في ذلك الأسلحة التي كانت قادمة على متن سفينة الاتسل «ألطالينا» لكن الاتسل طالب بتسليم جزء من هذه الأسلحة إلى رجاله في أورشليم القدس معللا ذلك بأنه بناء على قرار التقسيم تقع أورشليم القدس خارج حدود الدولة اليهودية، ولذلك لا تسري قوانينها عليها، مع ذلك تم رفض طلبه. بالرغم من هذا الرفض لم تتنازل الاتسل. في خضم ذلك وصلت السفينة في 20 من حزيران إلى شاطئ كفار فيتكين.

قام جيش الدفاع الإسرائيلي بناء على توجيهات رئيس الحكومة ووزير الدفاع، دافيد بن غوريون، بتفريغ السفينة بالقوة، فنشبت مواجهة بين القوة التابعة لجيش الدفاع، التي هرعت إلى مكان تواجد السفينة وبين والقوة التي كانت موجودة على متن السفينة أدت إلى قتل ثلاثة من جنود جيش الدفاع وستة من رجال الاتسل. اعتلى قائد الاتسل، مناحم بيغن، متن سفينة «ألطالينا» وقامت السفينة بالإبحار إلى شاطئ تل أبيب على أمل القيام بتفريغ الأسلحة منها هناك.

صعدت السفينة في 21 حزيران بمبادرة من قادتها على صخرة قبالة تل أبيب. قام رابين الذي كان في إجازة، بزيارة شخصية لقيادة البلماح في تل أبيب بالتاريخ نفسه وهكذا وجد نفسه خاضعا للهجوم الذي شنته قوات الاتسل التي تركت معسكراتها على قيادة البلماح. قام قائد البلماح، يجئال الون، بتعيين رابين لقيادة الدفاع عن القيادة. لقد رأي رئيس الحكومة، دافيد بن غوريون، رفض الاتسل تسليم الأسلحة على أنه عملا فادحا وعرفه كتمرد على الدولة. في ظل هذه الرؤية أمر بالعمل بكامل القوة، والقيام بالقضاء على هذا العمل غير المشروع. تمت مهاجمة مقر قيادة البلماح عدة مرات بالذخيرة الحية فقام رابين الذي قاد عملية صد هجوم القوات المهاجمة بصد هجوما. في غضون هذا الوقت دارت على متن السفينة وعلى الشاطئ معركة بين قوات جيش الدفاع وبين قوات مسلحة، قتل خلال يومي المعركة 16 فردا من أفراد الاتسل وثلاثة من جنود جيش الدفاع.

بقيت المعركة الدامية التي دارت بين واليهود واليهود صدمة قومية، من هذا المنطلق تمت مطالبة رابين غير مرة خلال نشاطه السياسي التطرق لهذه القضية ولدوره فيها فكان متمسكنا برأيه بقوة وعبر عنه بقوله أن بن غوريون كان محقا في هذه القضية لأنه بلور من خلال قراره هذا بشكل فعلي علاقة السلطة بين المستوى العسكري وبين المستوى السياسي في دولة إسرائيل.

استعدت القوات الإسرائيلية خلال الهدنة لاحتلال المدن العربية اللد والرملة حيث بدأت الحملة في 19 تموز، وفور انتهاء الهدنة اختار قائد البلماح، يجئال الون، رابين نائيا له وضابطا للعمليات.

عند احتلال المدينتين أمر بن غوريون بطرد سكانهما فترك منظر قوافل اللاجئين المطرودين من بيوتهم ومعهم أمتعتهم انطباعا قاسيا في نفوس جنود جيش الدفاع الإسرائيلي وكشف أمامهم عمق مأساة العرب في إسرائيل جراء هذه الحرب التي ترسخت في وعيهم على أنها «نكبة».

بعد مرور 10 لأيام من القتال دخلت الهدنة الثانية إلى حيّز التنفيذ.

تزوج رابين في 19 تموز بحضور أبناء العائلة والأصدقاء المقربين من حبيبته ليئه شلوسبرغ.

مع نهاية الهدنة الأولى تحول جيش الدفاع من وضعية الدفاع إلى وضعية الهجوم واخذ بإعداد الاستعدادات على جبهات الشمال، المركز والجنوب. تم في آب 1948 تعين يجئال الون قائدا للجبهة الجنوبية واختار رابين نائبا به وكضابط لعمليات الجبهة الجنوبية أيضا.

عمل رابين ضمن إطار وظيفته هذه على تخطيط العمليات الكبيرة ضد الجيش المصري. عند بداية محادثات السلام في رودوس تم ارسال رابين ممثلا عن يجئال الون للمشاركة في محادثات وقف إطلاق النار مع مصر. كانت هذه هي المهمة السياسية الأولى في حياته والتي كان له خلالها دورا فعلا في المفاوضات مع ذلك طلب العودة إلى البلاد قبيل التوقيع على الاتفاقيات لكي لا يعد من بين الموقعين حيث قام بذلك لأن قلبه لم يكن راضيا عن الانسحاب الذي تضمنته هذه الاتفاقيات ولأنه كان يريد المشاركة في «حملة عوفدا» التي كان من بين المخططين لها بنفسه وكان موعد تنفيذه قريبا آنذاك.

لفد اثبت رابين من خلال تعامله مع جبهة الجنوب مهارته كمخطط، كرجل قيادة وكصاحب مساهمة هامة لمواصلة بناء جيش الدفاع.

قرر بن غوريون في خضم مرحلة الاستعداد للهجوم، حل مقر قيادة البلماح فلاقت هذه الخطوة غضب عارم بين أوساط أعضاء البلماح الذين رأوا في هذا القرار خطوة سياسية ومحاولة لنقل إدارة المعركة إلى أتباعه ومن خدموا الجيش البريطاني.

على الرغم من أدرك رابين لدواعي هذا القرار، تصعب ككثيرين غيره، قبوله. من الناحية الرسمية تم إعطاء الأمر بحل مقر القيادة في السابع من اشرين الثاني من عام 1948.

أثارت هذه الخطوة جدلا شديدا بين أوساط الجمهور، زد على ذلك قال أعضاء البلماخ: «انهى العبد مهمته فليتم رميه».

عقد في 14 من تشرين الأول 1949 مؤتمرا للبلماح في تل أبيب. حظرت مشاركة رجال الجيش فيه، لكن رابين مثله كمثل الكثيرين غيره خالف أمر الجيش وشارك في هذا المؤتمر مما أدى لمحاكمته جراء ذلك، وتم توجيه اللوم له على ذلك.

لم ينسى بن غوريون لرابين هذا الفعل مما جعله يرجئ، فيما بعد تعيين رابين لمنصب قائد أركان جيش الدفاع لعدة سنوات، مع أنه كان المرشح المتفوق على سواه.

بعد توقيع اتفاقيات وقف اطلاق النار مع سوريا انتهت حرب الاستقلال في تموز من العام 1949. حينها بلغ رابين من العمر السابعة والعشرين عاما، وكان ينبغي عليه اتخاذ قرار بشأن مستقبله خاصة وأن الكثيرون من رفاقه المقربين قد تركوا الجيش احتجاجا على قرار بن غوريون حل البلماح، كما أن قائدة وصديقه، يجئال الون، هو الأخر فتح صفحة جديدة في حياته أيضا.

قرر رابين بعد بعض التردد، ومن منطلق الشعور بالالتزام تجاه أمن الدولة، على حد قوله، قرر رابين مواصلة الخدمة العسكرية، كما واقنع الكثيرين من رفاقه الاحتذاء بما فعل معتمدا في ذلك على نفسه هذا الدافع والتعليل.

المُقدم يتسحاك رابين، قائد مدرسة قادة الكتائب، 1949
بلطف ارشيف جيش الدفاع الإسرائيلي وجهاز الأمن

جيش الدفاع الإسرائيلي

في نهاية علم 1949 قام حاييم لاسكوف الذي كان آنذاك قائدا لجهاز التدريب، بالاقتراح على يتسحاك رابين تولي رئاسة دورة قادة الكتائب في جيش الدفاع الإسرائيلي. على الرغم من أن لاسكوف كان ممن خدموا في الجيش البريطاني إلا أنه كان يرى في البلماح احتياطي ضروري لمستقبل جيش الدفاع الإسرائيلي من هذا المنطلق حصل على موافقة بن غوريون لفتح الباب أمام قادة البلماح القدامى أملا بذلك أن يتركوا أثرا على جيل قادة جيش الدفاع القادم. على الرغم من مفاجأة رابين من هذا القرار قبل الاقتراح وحتى أنه روجه بين رفاقه الذين التحقوا بصفوف جيش الدفاع وشكلوا فيما بعد نواة قادة جيش الدفاع الكبار.

ولدت داليا، البنت البكر للية ورابين في 19 من آذار عام 1950.

تم في العام 1951 تعيين رابين ليتولى رئاسة شعبة العمليات (اجام) في شعبة القيادة العامة. ساهم ضمن وظيفته هذه في تشكيل جهاز الاحتياط في جيش الدفاع وشغل منصب رئاسة شعبة الارشاد في القيادة العامة للجيش وكان حينها يحمل رتبة مُقدم. كما وكان شريكا في المبدأ الذي تمسك به جيش الدفاع والقائل بأنه يجب نقل المعركة في كل مرة تتعرض لها إسرائيل لهجوم إلى أراضي العدو.

كان شتاء العام 1951 شتاء قاسيا بشكل خاص حيث غمرت الفيضانات المساكن (المعباروت) التي تم إسكان القادمين الجدد فيها آنذاك، مما ولد حاجة لطلب المساعدة من جيش الدفاع فتجند جيش الدفاع الذي كان تحت قيادة رابين لهذه المهمة.

هذه الحادثة وغيرها من تلك التي قام بها جيش الدفاع تحت قيادة رابين والتي شملت أيضا المساهمة في استيعاب القادمين الجدد الذين وصلوا إلى البلاد بمجموعات كبيرة، خدمت رابين كأداة تربوية وكمثال للأدوار المميزة التي قام بها جيش الدفاع بصفته جيشا للشعب.

عاد رابين في كانون الثاني من العام 1953 لأول مرة إلى مقاعد الدراسة المنتظمة منذ أيام الدراسة في «خضوري» عندما تم ارساله من قبل جيش الدفاع للدراسة في مدرسة القيادة الميدانية التابعة للجيش البريطاني في كمبرلي حيث مكث هناك مع عائلته زهاء نصف عام.

تمكن خلال وجوده في انجلترا من التعرف على البريطانيين، الذين كانوا خصومه سابقا، من منظار آخر.

تعلم رابين خلال هذه الفترة اللغة الانجليزية، هذه اللغة التي ستكون ضرورية له أثناء أداء وظائفه المستقبلية. عندما عادت عائلة رابين إلى البلاد استقرت في تساهلا.

قبل رابين اقتراح قائد اركان الجيش، موشيه ديان، تولي رئاسة شعبة الارشاد ونال درجة جنرال. من خلال هذا المصب بادر إلى تمرينات ومناورات وسعى إلى تحويل الجيش إلى جيش هجومي.

بادر خلال فترة ولايته لهذا المنصب إلى فتح مدرسة للقيادة الميدانية (يعوم). كما احتفلت عائلة رابين في نيسان من العام 1955 بولادة ابنها يوفال.

بعد مرور عام على هذا الحدث تم تعيين رابين قائدا للقيادة الشمالية وبهذا التعيين يكون رابين قد انتقل من المهام الميدانية إلى المهام القيادية.

عُهد إلى رابين خلال السنوات الثلاثة التي تولى خلالها قيادته للقيادة الشمالية، كخطوة أولى الحفاظ على الأمن العام أمام سوريا، حيث رأي في هذه الدولة أنها هي المسؤولة عن العمليات العدائية التي تنطلق من أراضيها. كانت إحدى القضايا التي اختلفت عليها الدولتان هي الحق في استخدام المناطق منزوعة السلاح التي فلحتها إسرائيل منذ اعلان وقف النار بين الدولتين. حيث رأى رابين بأن هذا هو حق كامل لإسرائيل. زد على ذلك هنالك مجالات اختلاف أخرى تجلت في محاولات الجامعة العربية تحويل منابع نهر الأردن ومحاولات التنكر لحق إسرائيل في صيد الأسماك في بحيرة طبريا.

قام رابين بتفعيل الجيش الذي دافع بقوة في سبيل الدفاع عن هذه الحقوق كما وعمل كثيرا على حماية المنطقة وبنى علاقة وثيقة مع البلدات الشمالية التي كانت واقعة تحت القصف ويضطر سكانها إلى الاختباء في الملاجئ وعلى وجه الخصوص حافظ على علاقة مع كيبوتس منارة التي كانت شقيقته راحيل تعد من بين مؤسسية.

شارك رابين من خلال وظيفته في نقاشات القيادة العامة وكان أيضا شريكا في قراراتها حول التغيير في مبنى جيش الدفاع وعتاده.

شارك رابين مثله مثل باقي أعضاء القيادة العامة في المداولات التي تناولت العمليات التي قام بها «الفدائيون» ضد المواطنين في الجنوب وفي حوادث إطلاق نار على الحدود المصرية تم خلالها سقوط جنود أيضا، كما وشارك في اتخاذ القرارات التي تم اتخاذها قبيل «حملة قادش» في سيناء، لكن كونه كان ملتزما بالتواجد في الحدود الشمالية لم يشارك في هذه الحرب بشكل فعلي.

عيِّن في مستهل نيسان من العام 1959 من قبل قائد الاركان آنذاك، حايين لاسكوف، بشكل مفاجئ لتولي منصب رئيس ضابط شعبة العمليات، تم هذا التعيين بشكل سريع نظرا لفشل رئيس ضابط شعبة العمليات في تنظيم تمرين تجنيد قوات الاحتياط. شغل رابين هذا المنصب لمدة حوالي العامين. اتضح في نهايتها أن تدرجه الطبيعي في تولي الوظائف العسكرية هو تولي منصب قائد اركان الجيش لكن رئيس الحكومة، بن غوريون لم يكن يعتقد ذلك، مما جعله يفضل عليه، تسفي تسور، وهو ممن خدموا في الجيش البريطاني سابقا. من هذا المنطلق اعتقد الكثيرون أن بن غوريون قد عاقب رابين بسبب خطئه عندما خالف الأمر الذي صدر في تشرين الأول عام 1948، القاضي بعدم المشاركة في مؤتمر البلماح.

فكر رابين في التقاعد من الجيش، لكنه عدل عن ذلك واستجاب لطلب بن غوريون لمواصلة مهامه كقائد لشعبة العمليات بعد أن وعده بتسلمه منصب رئيس الاركان في الدورة القادمة لهذا المنصب.

كانت شهرة رابين كقائد وكشريك في بلورة سياسة إسرائيل الأمنية تسير أمامه. كما أن تجربته التي اكتسبها من خلال الوظائف القيادية الكثيرة التي تولاها، وبصفته جنرالا قائدا للقيادة الشمالية، كل هذه مجتمعة جعلته مرشحا لهذه الوظيفة المهمة بين أوساط كبار رجالات القيادة وكذلك بين أوساط الرأي العام. حيث تم تعينه في الأول من كانون الأول من العام 1964 ليكون القائد السابع لأركان الجيش والقائد الأول لها من بين مقاتلي البلماح السابقين.

زيارة للتمرين الذي أجراه لواء جولاني، 1964
بلطف ارشيف جيش الدفاع وجهاز الأمن
تصوير: ابرهام فرد

قائد اركان الجيش

جاءت فترة تولي رابين لمنصب قائد اركان الجيش في خضم تعاظم جيوش الدول العربية السريع الذي اتسم بتزودها بالسلاح الروسي. من هذا المنطلق تركز جل اهتمامه في اعداد جيش الدفاع تمهيدا لإمكانية اندلاع حرب شاملة، حيث عمل على تزويده بسلاح أمريكي وبتقنيات متطورة، وإعداده للقيام بعمليات تشارك فيها عدة أسلحة وسط تنسيق بينها. إلى جانب ذلك عكف على اعداد خطط ميدانية تكون تحت تصرف قوات جيش الدفاع في جميع الأوقات. جميع هذه الأمور كانت رصيدا خدم جيش الدفاع عند الامتحان الذي مر فيه ابان «حرب الأيام الستة» وكان لها دورا حاسما في تحقيق النصر السريع الذي حققته إسرائيل في هذه الحرب.

استمر التوتر السائد في المنطقة الشمالية يشغله أثناء توليه مهمة قائد الأركان العامة أيضا، وخاصة على أثر محاولات الجامعة العربية المتكررة لتحويل مسار منابع المياه التابعة لإسرائيل. رفض رابين أي رد فعل يلزم احتلال أراض في سوريا وبدلا من ذلك اعطى تعليمات للجيش لضرب المعدات التقنية التي كانت تعمل داخل الأراضي السورية لتحول مسار منابع المياه. لأجل ذلك سمع لأول مرة باستخدام سلاح الجو بالإضافة لعمل المدافع والدبابات التي كانت تعمل في هذه الجبهة أيضا. وبالتوازي مع ذلك تابع المعركة ضد «فتح» — ذراع منظمة التحرير الفلسطينية العسكري، الذي تم تشكيله في عام 1964.

من منطلق الوفاء لنظرته القائلة بأن كلّ دولة مسؤولة عن العمليات العدائية التي تخرج من أراضيها، رأى رابين في النظام السوري مسؤولا عن العمليات العدائية التي تنطلق من الأراضي السورية وهاجمه بواسطة كلمات قاسية.

في شباط من عام 1966 استولى حافظ الأسد على السلطة في سوريا. وواصل مثل من سبقه في دعم منظمة التحرير الفلسطينية ومكنها من مواصلة نشاطاتها ضد إسرائيل من أراضيه. كقائد للاركان قلل رابين من السماح بالقيام بعماليات انتقامية إسرائيلية ضد القوات المعادية المتموضعة بين السكان المدنيين، لكنه حاد عن عادته هذه في تشرين الثاني عام 1966 عندما أذن بعملية انتقامية ضد الأردن وذلك بالرغم من أنها كانت حليفة للولايات المتحدة.

كان هدف العملية الانتقامية قرية السموع الواقعة في جنوب جبل الخليل الذي انطلق منها معتدون وقتلوا إسرائيليين. كان يفترض أن تكون العملية محدودة لكنها شذت عن الخطة حيث أدى ذلك إلى قتل 23 مواطنا أردنيا خلالها وتفجير عشرات البيوت مما تسبب في خلق انعكاسات سياسية تجلت في شجب هذه العملية من قبل مجلس الأمن الدولي وحتى الولايات المتحدة أيدت إدانة إسرائيل أيضا. ليس هذا فحسب بل كانت هناك انتقادات شديدة لهذه العملية في داخل إسرائيل نفسها أيضا. كانت احتمالية نشوب حرب بين إسرائيل وبين الدول العربية شاخصة أمام ناظري رابين على الدوام لكنها وعلى الرغم من استمرار سخونة الحدود مع سوريا لم يبدو نشوبها على الأبواب.

مع ذلك حصل في السابع من نيسان عام 1967 تصعيدا كبيرا على هذه الجبهة جراء اطلاق نيران سورية على جرارات (تركتورات) في تل كتسير حيث تطور تبادل اطلاق النيران حتى بلغ ادخال الطيران إلى هذه المعركة وتم خلال المعارك الجوية التي دارت مع الطائرات السورية اساقط جيش الدفاع ست طائرات ميج. هاجم رابين من خلال الاخبار التي نشرت في الصحف بعد المعركة، سوريا بكلمات أشد بكثير مما سبق.

لقد زاد التخوف من نشوب حرب مع زيادة وصول شحنات الأسلحة السوفيتية إلى مصر وسوريا، وبسبب التصريحات المصرية حول تحقيق التحالف العسكري مع سوريا والتي ستساعد مصر من خلاله سوريا حال تمت مهاجمتها من قبل إسرائيل. بناء على معلومات مغلوطة نقلها السوفيت للمصريين حول تحضيرات يقوم بها جيش الدفاع للهجوم على سوريا بدأ المصريون بتصعيد خطواتهم.

بدأت في الرابع عشر من أيار استعدادات جديدة من قبل الجيش المصري لكن الحرب بدأت في الخامس من حزيران. سجلت الأيام الواقعة ما بين الخامس عشر من أيار والخامس من حزيران فيما بعد في الوعي الإسرائيلي على أنها «أيام الانتظار».

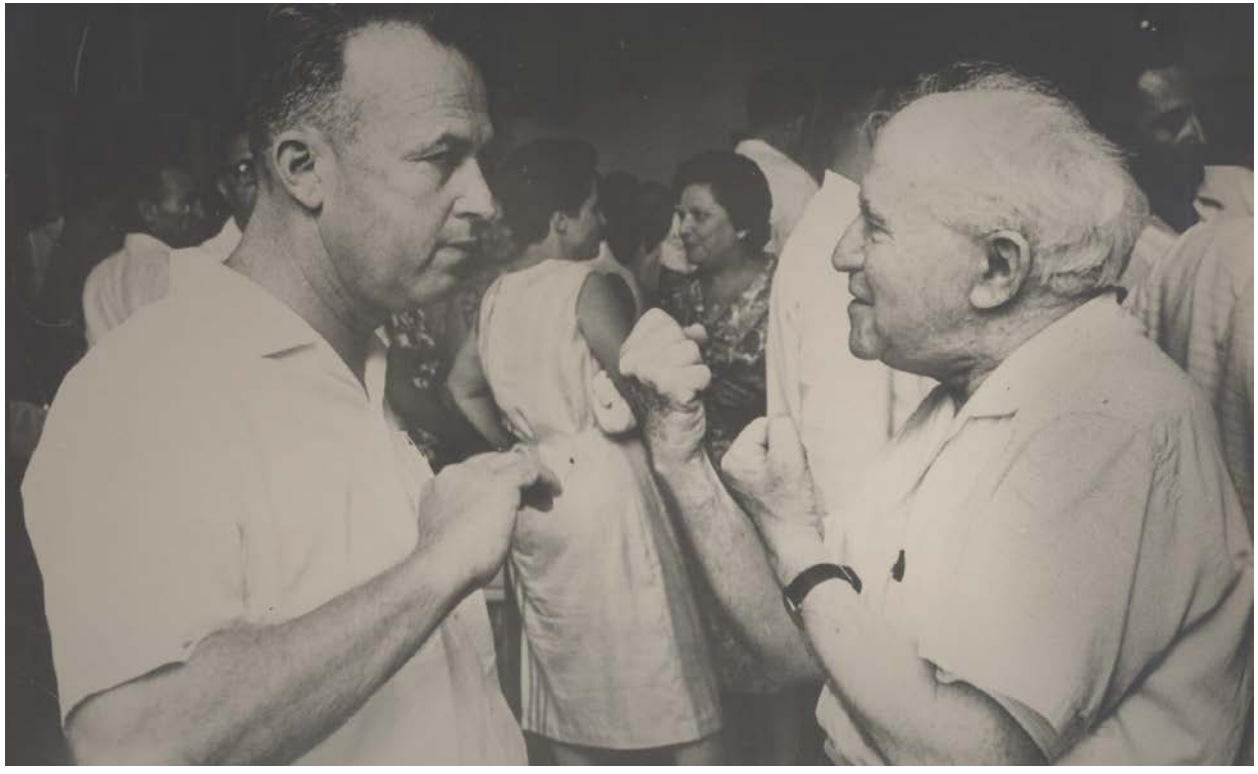

مع دافيد بن غوريون، 1965
بلطف ارشيف جيش الدفاع الإسرائيلي
وجهاز الأمن
تصوير: ابرهام فيرد

فترة الانتظار

مصر هي التي أحدثت تغير الوضع. وذلك من خلال سلسلة من المبادرات أحادية الجانب، أصدر الرئيس المصري، جمال عبد الناصر، من خلالها أمرا بتحريك قوات مصرية إلى داخل سيناء، وطالب القوات الأممية بمغادرة سيناء، وبذلك يكون قد عبر عن إصراره على منع إسرائيل من شن هجمات مضادة لسوريا. مما حدا برابين في هذه المرحلة إلى إصدار أوامر لحشد قوات الاحتياط. في الثامن عشر من أيار استجابت هيئة الأمم المتحدة لمطالب ناصر وأخلت قواتها. بعد ذلك قام المصريون بعملية أشاروا من خلالها إلى نيتهم في اغلاق مضائق ثيران حيث رأى جيش الدفاع في خطوة كهذه خطا أحمرا يستدعي نشوب الحرب.

كمن كان قائدا لجيش الدفاع خلال السنوات الثلاثة الأخيرة ومن ثم تم تمديد تعينه لسنة رابعة، كان رابين مفعم بالإيمان بقوة جيش الدفاع، كالجيش مجهز ومستعد للحرب.

كان جنود الاحتياط ينتظرون في المعسكرات حيث مكن ذلك من مواصلة التدريبات، لكنه في نفس الوقت كلف ثمنا اقتصاديا باهظا، كما وزاد هذا الانتظار من التوتر بين أوساط الجمهور مما جعل القيادة العامة تضغط لدفع الجيش للقيام بعملية استباقية.

أدرك رابين بأنه ينبغي إعطاء الحكومة وقتا للقيام بعملة سياسية وهكذا صد الضغوطات التي قام بها زملائه في المستوى العسكري الكبير في سبيل الخروج «ضربة استباقية» من ناحية ثانية زعزعت شخصيات كبيرة ومن بينها بن غوريون ثقته بالنسبة لقوة جيش الدفاع في الخروج إلى حرب دون دعم دولة عظمى. زد على ذلك انتقد بن غوريون حشد قوات الاحتياط.

حدث في الثالث والعشرين من أيار تحولا حاسما. حيث اعلن فيه المصريون في هذا عن إغلاق مضائق ثيران، وإغلاق قناة السويس أمام ملاحة السفن الإسرائيلية، الأمر الذي جعل هذا اليوم يعتبر نقطة ألا عودة.

وقف رابين حائرا بين علمه بواجب استنفاد عملية سياسية، لربما يكون من شأنها تفادي خوض حرب، ووجوب الانصياع لقرارات المستوى السياسي من ناحية، وبين حسنات شن «ضربة استباقية» ووقوعه تحت ضغوطات كبيرة من جانب رفاقه في القيادة العامة المطالبين بالتحرك عسكريا فورا من ناحية ثانية.

عمل رابين على مدار الساعة، وهو يدخن بلا توقف، ويشعر بارهاق وضيق. فقام من منطلق الشعور بالمسؤولية بدعوة الجنرال عيزر فيتسمان الذي كان يشغل آنذاك مهام قيادة إدارة العمليات إلى بيته وطلب من أن يبدله، لكن فيتسمان رفض وعبر عن ثقته بأن رابين سيعود سريعا إلى أداء مهامه، وفعلا عاد رابين بعد استراحة دامت مدة 24 ساعة لأداء جميع مهامه. تم في الثلاثين من أيار من العام 1967 والاتصالات السياسية لا تزال في أوجها توقيع اتفاقية دفاع بين مصر والأردن، وهكذا تم ضم الجيش الأردني إلى المنظومة العسكرية المعادية لإسرائيل. حاول السوفيت والأمريكان منع وقوع الحرب ودعوا إسرائيل إلى مواصلة الجهود السياسية، بالمقابل زادت القيادة العامة ضغوطها للخروج إلى حرب، كما وساد بين أوساط الجمهور شعورا وكأنه يعيش عشية اندلاع حرب ضروس.

قام رئيس الحكومة، ليفي اشكول الذي لم يُعتبر ابدا شخصية أمنية بالاستجابة وإن كانت على مضض للضغوطات التي تعرض لها لكي يتنازل عن مهمته كوزير للدفاع.

نظرا لضغط الجمهور،ولأسف رابين تم تعيين موشيه ديان لإشغال هذا المنصب. قررت المعارضة بقيادة مناحم بيغن لأنها كانت على اطلاع بما يجري بأن الوضع ملزم للقيام بتشكيل حكومة وحدة وطنية من هذا المنطلق انضمت المعارضة للحكومة حيث أدى هذا التطور إلى تسريع توجيه جيش الدفاع «ضربة وقائية».

وهكذا قامت الحكومة في الرابع من حزيران بالسماح لجيش الدفاع بشن هجوما.

حرب الأيام الستة

في الخامس من حزيران من عام 1967 بدأ سلاح الجو بهجوم مفاجئ شاركت فيه جميع طائرات جيش الدفاع الحربية تقريبا، حيث هاجم سلاح الجو الإسرائيلي مطارات وأسلحة الجو المصرية، السورية، العراقية والأردنية وألحق بها أضرار جسيمة للغاية. كان رابين يراقب الهجوم الكبير الذي شنه سلاح الجو من مقر قيادة سلاح الجو. تم بعد هذا الهجوم الكاسح شق الطريق لقوات المدرعات وسلاح المشاه للدخول إلى سيناء. قام ربين بقيادة المعركة من مقر قيادة جيش الدفاع العليا ومن هناك خرج لجولات زار خلها أرض المعارك المختلفة وقد تجنب من المشاركة في احداث إعلامية ما عدا زيارته لمدينة القدس القديمة.

تم في غضون أيام معدودة هزيمة الجيش المصري وانسحابه إلى قناة السويس. لكن تم على أثر الهجمات التي شنها الجيش الأردني في منطقة أورشليم القدس فتح جبهة ثانية. قامت قوات جيش الدفاع على أثرها خلال يومين باحتلال جميع الضفة الغربية والقدس الشرقية ووصلت إلى حائط المبكى. لقد رسخت صورة يتسحاك رابين، موشية ديان وقائد قيادة المركز الجنرال، عوزي نركيس البعد التاريخي لهذه الحرب وانتشرت هذه الصورة في أرجاء العالم. بعد هزيمة الجيشين المصري والأردني، في اليوم الخامس وعشية دخول وقف اطلاق النار حيّز التنفيذ هاجم جيش الدفاع السوريين في هضبة الجولان. حيث تم بعد استكمال احتلال هضبة الجولان دخول وقف اطلاق النار حيّز التنفيذ، وهكذا تم ازالة التهديد عن البلدات الواقعة شمالي البلاد. شعر رابين بالرضى لأن الخطط المفصلة التي اعدها جيش الدفاع تمهيدا لدخول معركة محتملة فعلا اجتازت الامتحان.

مع نهاية الحرب صار مجد جيش الدفاع على كلّ لسان ووصل صدى تمجيد عظم النصر إلى أنحاء العالم بأسره. على الرغم من قلة التغيرات التي أدخلها وزير الدفاع، موشية ديان، على الخطة الحربية، حظي ديان بالتمجيد في العالم. لقد شعر الكثيرون من بين الجمهور بأنه قد وقع اجحاف بحق رابين، لكن تم تخفيف هذا الشعور بعض الشيء خلال مراسم الحصول على شهادة الدكتوراة الفخرية من طرف الجامعة العبرية التي أجريت في المسرح الروماني القديم على جبل سكوبس حيث حظي رابين خلال هذه المناسبة بالعرفان الذي يكنه شعب إسرائيل لقائد اركان النصر. قام رابين من خلال خطابه الذي نال تغطية اعلامية واسعة في انحاء العالم بإجمال الحرب وابرز الثمن الباهظ الذي تكبده المهزومين والمنتصرين على حد سواء دون ابدا التعالي وفرحة الفائزين. كان خطابه هذا بمثابة وثيقة تأسيسية لتربية أي جندي في جيش الدفاع الإسرائيلي وساهم في دخول رابين إلى الذاكرة الوطنية كمهندس النصر الكبير في حرب الأيام الستة.

أصبحت إسرائيل بعد نهاية الحرب مختلفة، حيث زاد حجم الأراضي الواقعة تحت سيطرتها بثلاثة أضعاف، ووقع على كاهلها تحمل المسؤولية عن مصير مليون ونصف المليون من الفلسطينيين كما وتم مجددا فتح النقاش حول حدود الدولة الذي كان يبدو وكأنه قد انتهى عند نهاية حرب الاستقلال.

«لم يرى المقاتلون على الخطوط الأمامية بأم أعينهم روعة النصر فحسب بل رأوا ثمنه أيضا. حيث سقط رفاقهم بين أيديهم وهم يتمرغون في دمائهم. أنا أعلم بأن الثمن الباهظ الذي دفعه العدو قد لامس هو الآخر شغاف قلوب الكثيرين منهم أيضا»

قائد الأركان يتسحاك رابين، وزير الدفاع موشية ديان وقائد المنطقة الوسطى عوزي نركيس، في مدخل البلدة القديمة في أورشليم القدس حزيران 1967

بلطف ارشيف جيش دفاع الإسرائيلي وجهاز الأمن
تصوير: ابرهام فيرد
بلطف ارشيف جيش دفاع الإسرائيلي وجهاز الأمن
بلطف مكتب الصحافة الحكوميّ

سفير إسرائيل في الولايات المتحدة

تم تكيف رابين بمهمة السفير حسب اختياره، وفي ظل مفاجأة الكثيرين من زملائه. على الرغم من انعدام التجربة في أداء مهمة سياسية كان رابين يتمتع بنظرية حول أهمية علاقات إسرائيل — الولايات المتحدة.

كان رابين على قناعة بأن بإمكانه القيام بهذه المهمة وأن حسناته تفوق سيئاته بالنسبة لإمكانية القيام بها.

خصص الأشهر المتبقية لحين خروجه إلى واشنطن لتحسين معرفته باللغة الانجليزية ولدراسة تاريخ الدولة الديمقراطية الأهم في العالم، سياستها الخارجية وخاصة دقائق العلاقات مع إسرائيل. حيث أجرى في هذا السياق مع البروفسور، هنري كيسنجر، الذي كان يشغل منصب مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس، ليندون جونسون، وأحد السياسيين المؤثرين في الولايات المتحدة، حديثا أنار عينيه على القضايا التي كانت مطروحة على طاولة البحث الأمريكية، ومن بينها الحرب الباردة، حرب فيتنام، والرقابة على السلاح النووي في العالم.

كان رابين يدرك التفوق الذي تمنحه إياه مكانته كقائد الاركان المنتصر في «حرب الأيام الستة» ولم يخيب أمله حيث تم استقباله في واشنطن بترحيب كبير.

كان الرئيس عن الحزب الديمقراطي في أخر أيام ولايته، وكان على رأس اهتماماته الحرب الباردة، والتدخل الأمريكي في فيتنام من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت أحدى النقاط الحساسة في العلاقات الإسرائيلية الأمريكية آنذاك تتمثل في مطالبة الولايات المتحدة فرض رقابة على البرنامج النووي الإسرائيلي، ومن ضمن ذلك توقيع إسرائيل على معاهدات الحد من انتشار الأسلحة النووية. عارضت إسرائيل هذين المطلبين لذلك قامت الولايات المتحدة بإصدار أمر مؤقت أخرت بموجبه ارسال شحنة طائرات الفانتوم التي كان متفق عليها من قبل إلى إسرائيل. كان رابين شريكا كاملا في معارضة إسرائيل فرض رقابة على برنامجها النووي وتمسك بالمعادلة القائلة بأن إسرائيل لن تكون الوحيدة التي ستُدخل السلاح النووي للمنطقة. مثلت هذه النظرة المعادلة «الشعبية» التي انتهجتها الحكومة الإسرائيلية بشأن مسألة السلاح النووي منذ بداية ولاية اشكول كرئيس للحكومة الإسرائيلية. قاد رابين صراعا شديدا لمناهضة العلاقة التي خلقها الأمريكان بين موضوع السلاح النووي وبين تزويد طائرات الفانتوم لإسرائيل.

المشاركة في احداث إعلامية ما عدا زيارته لمدينة القدس القديمة.

جرت في تشرين الثاني من العام 1968 قبيل انهاء عام ولايته الأولى في واشنطن انتخابات الرئاسة الأمريكية. قام رابين على خلاف ما جرى عليه التقليد الذي انتهجته الجالية اليهودية في دعم الحزب الديمقراطي وخلافا لموقف وزارة الخارجية في أورشليم القدس بإبداء تأييدا للمرشح الجمهوري، ريتشارد نيكسون، حيث رأى رابين فيه حليفا لإسرائيل أفضل من منافسه. اعتمد موقف رابين هذا على معرفته السابقة بنيكسون، وعلى المواقف التي صرح بها الأخير خلال فترة منافسته على الرئاسة. لقد ساعدت الحملة الانتخابية رابين على معرفة أجهزة الديمقراطية الأمريكية عن قرب، رؤساء الأحزاب الكبيرة، قوة الاعلام، وكذلك ممثلي وسائل الاعلام المهمين. كما وأكثر من الزيارات للجالية اليهودية حيث عرف لدى رؤساء المنظمات اليهودية الهامة.

كما هو معلوم، فاز ريتشارد نيكسون في الانتخابات وكان أول تعيين قام به هو بتعيين هنري كيسنجر رئيسا لمجلس الأمن القومي.

على أساس المعرفة السابقة بينهما استقبل رابين هذا التعيين بالترحاب. كان رابين من ناحية إطار منصبه خاضعا لوزارة الخارجية الإسرائيلية لكن علاقته الجيدة مع رئيس الحكومة، ليفي اشكول، مكنته من فتح مسارا مباشر للوصول إلى اشكول الأمر الذي ضايق غير مرة وزير الخارجية، أبا إيبان ورجالات وزارته.

تم بعد وفاة اشكول في شباط من العام 1969 انتخاب غولدا مائير لرئاسة حكومة إسرائيل التي كان رابين قد بنى معها علاقات ثقة خولته مواصلة التواصل مع رئيس الحكومة عبر قناة تواصل مباشرة حيث ساعده هذا التواصل على تحريك خطوات حيوية لإسرائيل بنجاعة. على الرغم من الخلافات مع الحكومة الأمريكية بشأن مسألة حل الصراع بين إسرائيل والدول العربية التي استمرت حتى بعد انتخاب نيكسون وصل رابين خلال هذه الفترة إلى تحقيق انجازاته الكبيرة كسفير.

«لقد تشكل لدي مزيدا من القناعة بأن حجم علاقتنا مع الولايات المتحدة ومع كافة اليهود القاطنين في أقوى دولة في العالم الغربي سيتزايد»

وضعت الحرب الباردة والتدخل السوفيتي في مصر وسوريا الشرق الأوسط في صلب اهتمامات الولايات المتحدة السياسية من هنا رأت الولايات المتحدة في دفع تسوية سياسية بين إسرائيل وبين جاراتها قدما وسيلة هامة لتقليص التأثير السوفيتي في المنطقة. قام وزير الخارجية الأمريكي، وليام روجرس، في تشرين الأول من العام 1969 بصياغة خطة لتسوية سلمية بين إسرائيل وجاراتها تهدف إلى ابرام اتفاقية سلام شاملة مع مصر والأردن تشمل انسحاب إسرائيل الكامل إلى خطوط عام 1967 حسب قرار هيئة الأمم المتحدة رقم 242. لكن رابين شكك في احتمالية تحقيق هذه الخطة لكامل أهدافها.

منذ انتهاء حرب الأيام الستة نظر رابين إلى الضفة الغربية وقطاع غزة على أنهما ورقة مساومة، مع ذلك عارض بشدة الانسحاب إلى خطوط 1967 حيث رأى في هذه الخطوط حدودا غير قالبة للدفاع عنها.

في ظل معارضة رابين لخطته عرضها وزير الخارجية روجرس على حكومة إسرائيل في كانون الأول من العام 1969.

على الرغم من معارضته للانسحاب للحدود الدولية، رأى رابين في الحوار مع الحكومة الأمريكية خطوة حيوية لإسرائيل، واقترح على الحكومة الإسرائيلية عدم رفض الخطة نهائيا، لكن الحكومة الإسرائيلية وخلافا لرأيه رفضت الخطة مما زاد في التوتر بين الدولتين.

لم يزول التوتر بين إسرائيل والولايات المتحدة إلا بعد رفض الخطة من قبل السوفيت والمصريين لكن الأمريكيون لم ييأسوا وقاموا بالبحث عن خطة جديدة لتسوية الصراع.

وسط مواصلة الاتصالات السياسة استمرت أيضا «حرب الاستنزاف» التي جنت ثمنا دمويا باهظا.

قامت غولدا مائير في تشرين الأول من عام 1969 بأول زيارة رسمية لها للرئيس نيكسون حيث حققت هذه الزيارة التي كان رابين مشاركا في التحضيرات لها وفي المداولات التي دارت خلالها نجاحا كبيرا. من هنا عزيّ نجاح هذه الزيارة بقدر كبير إلى رابين، هذا النجاح الذي تمثل جله في تسليم الأمريكان لأول مرة بسياسة «الضبابية النووية» التي انتهجتها إسرائيل.

كما وقام الأمريكيون جراء هذه الزيارة بإلغاء الربط بين السلاح النووي وبين المساعدات العسكرية لإسرائيل ووعدوا بتزويد إسرائيل بطائرات الفانتوم.

السفير يتسحاق رابين
في طريقه إلى الولايات المتحدة، 1973
بلطف ارشيف جيش الدفاع وجهاز الأمن

قام رابين من خلال موقعه كشريك في المباحثات مع كبار السياسيين الأمريكان بكلّ الطرق على اقناعهم بأنه ينبغي أن تزيد من حدة خطواتها تجاه مصر،حيث أن من شأن سياسة من هذا القبيل أن تخدم جيدا المصالح الأمريكية في المنطقة أيضا. كما وادعى رابين أن الحاق الضرر بمصر سيقلص التأثير السوفيتي في المنطقة، وسيؤدي بشكل غير مباشر إلى دفع التوصل إلى اتفاق بين الدولتين العظميين بشأن الحد من سباق التسلح أيضا. ليس هذا فحسب بل ادعى أيضا أنه في الوقت الذي يقوم الاتحاد السوفيتي بتقديم المساعدات لمصر تمتنع الولايات المتحدة عن تعزيز إسرائيل بالتوافق مع ذلك. لقد اسس رابين موقفه هذا على الفرضية القائلة بأنه ينبغي على التسوية السلمية أن تتم من موقع قوة فقط، من هذا المنطلق رابين بصفته عضوا في (المطبخ) مطبخ مجلس الوزراء الذي اسسته غولدا مائير كان أحد المبادرين إلى شن «الهجمات العمق» التي قامت بها الطائرات الإسرائيلية في العمق المصري والتي امتدت على مدار الفترة الواقعة بين كانون الأول ولغاية 11 حزيران 1970 وكان هدف هذا القصف توجيه ضربة قاصمة لمصر، ومن ثم التوصل إلى اتفاق لوقف اطلاق النار، علما أن هذا القصف الذي بادرت إليه إسرائيل لعمق مصر أدى إلى إصابة عشرات المواطنين المصريين مما أثار الانتقادات في العالم وفي داخل إسرائيل أيضا.

لم يغير رابين موقفه حتى لو كان الثمن هو الاختلاف مع الولايات المتحدة. مع أن موقفه اعتبر بادرة متطرفة، لكنه كان يحمل في طياته خطة سياسية خصصت سلفا لتكون خطوة محدودة ينبغي انهائها في الوقت، ليتم جني ثمارها السياسية. لقد تكبدت مصر خسائر فادحة خلال هذه الهجمات. اعتمادا على ذلك فعّل رابين على غولدا مائير نفس تأثيرة الذي ساهم في العمل على ضرب مصر، في تحقيق وقف لإطلاق النار أيضا. وافقت إسرائيل لأول مرة وإن كان ذلك وسط تحفظ على قرار مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم رقم 242، الذي شمل الانسحاب من الأراضي التي تم احتلالها في حرب الأيام الستة والاعتراف بسيادة واستقلال جميع دول المنطقة.

ادت هذه الموافقة إلى انسحاب جاحال «كتلة الحرية» من الحكومة وإلى حل الائتلاف، مع ذلك استمرت الحكومة في أداء مهامها وبقيت غولدا مائير في منصبها كرئيسة للحكومة.

زار رابين خلال هذه الفترة البلاد عدة مرات، شارك خلالها في جلسات الحكومة ورسخ مكانته كسياسي واعد.

في أيلول 1970 وصلت غولدا مائير، رئيسة الحكومة إلى واشنطن في زيارت ثانية لها، وفي هذه المرة أيضا اجتهد رابين في تنظيم هذه الزيارة. حيث تم في هذه الزيارة إزالة الحظر على توريد شحنات طائرات الفانتوم إلى إسرائيل، كما وتم الاتفاق على تقديم مساعدات أمنية لإسرائيل بحجم غير مسبوق.

كما هو الحال في الزيارة الأولى يعزى هذا الانجاز أيضا بقدر كبير إلى الاعمال التحضيرية التي قام بها رابين.

طلب الرئيس نيكسون من إسرائيل خلال الزيارة بواسطة رابين مساعدة الملك، حسين، ملك الأردن، في احباط المحاولات السورية الفلسطينية الرامية إلى تهديد حكمه. دعم رابين هذا الطلب وعمل على اقناع رئيسة الحكومة بقبوله، لكن الملك حسين افلح في نهاية المطاف في قمع التمرد بقواه الذاتية. حيث استخدم كامل قوته وأوغل في المقاتلين الفلسطينيين قتلا بلا رحمة. جراء ذلك ترسخ هذا الشهر في أذهان الفلسطينيين على أنه «أيلول الأسود». شكل استعداد إسرائيل للاستجابة للطلب الأمريكي ومساعدة ملك الأردن تعزيز كبيرا جدا للتعاون بين إسرائيل وبين الولايات المتحدة وكذلك في تعزيز علاقة الملك حسين مع إسرائيل.

مر النصف الثاني من فترة ولايته في واشنطن بمزيد من الارتياح حيث أكثر من الانشغال في هواية التصوير ولعب التنس. على الرغم من خيبة أمله من حكم الجمهوريين، الذي علق عليهم الكثير من الآمال، شعر بأنه تم تحقيق الكثير من خططه. زد على ذلك كان رابين محاضرا مطلوبا، سواء لدى الجاليات اليهودية، وسواء لدى أطر أكاديمية، كما كان يتم دعوته للمشاركة في مناسبات اجتماعية وفتح بيته لاستقبال الضيوف أيضا.

تعرض هذا الروتين في كانون الأول من العام 1971 للخلل على أثر وفاة والده» نحميا، الذي كان يسكن على مدار بضع سنوات في كيبوتس منارة بالقرب من ابنته راحيل وأفراد عائلتها. ما كانت وفاة والده إلا أن عززت من شعوره بأن الوقت قد حان للعودة إلى أرض الوطن، كما وشعر في هذا الوقت بأنه ناضج للاندماج في الحلبة السياسية.

اعتبر رابين في البلاد منذ زمن كملم بالأمور المتعلقة بالولايات المتحدة، كما أن زيارته الكثيرة للبلاد وصلته التي حافظ عليها طوال الوقت مع أفراد عائلته وأصدقاءه جعلته يحافظ على صلة متواترة بما يدور في البلاد، لذلك قبل طلب غولدا مائير بتمديد فترة ولايته ليس برضا تام. في التاسع والعشرين من أيلول عام 1970 توفي الرئيس المصري، جمال عبد الناصر، وحل محله أنور السادات.

لقد غير تعين السادات رئيسا لمصر الواقع السياسي في الشرق الأوسط حيث أدخل اسلوبا جديدا وطرح أفكارا جديدة بشأن التوصل لتسوية مع إسرائيل.

كان رابين متنبها لهذه التغيرات حيث رأى في صعود السادات إلى سدة الحكم فرصة للخروج من الجمود السياسي.

كان رابين مستعدا للموافقة على انسحاب جيش الدفاع إلى عمق سيناء وفتح قناة السويس مع أنه كان على خلاف مع غولدا مائير بهذا الشأن، على الرغم من ادعاءه بأن تسوية كهذه ستعزز العلاقات مع الولايات المتحدة، لكن ذلك لم يثنيها عن رأيها. قامت حكومة إسرائيل برئاسة غولدا مائير برفض هذا الاقتراح. لكن رابين حذر الحكومة بأن رفضها قبول الخطة الأمريكية سيؤدي إلى فرض اتفاقية قسرا أو حتى إلى اندلاع الحرب من جديد. لكن حكومة غولدا تمسكت بموقفها ورفضت أن ترى التغييرات التي تجري في المنطقة في العهد الذي تلى عهد عبد الناصر.

مع ذلك عاد وكرر الادعاء بأن الولايات المتحدة لن تقتصر على عدم التقليل من بذل جهودها للتوصل إلى تسوية في الشرق الأوسط بل ستزيد هذه الجهود. وأن على إسرائيل الاندماج في الخطوات الجديدة لكن رئيسة الحكومة رفضت أي انسحاب.

واصل رابين بصفته سفيرا في تمثيل موقف حكومته بأمانة مع أنه كان لديه تحفظ من هذه المواقف لكن رغبته في العودة للبلاد قد زادت.

أكثر في هذه الفترة من التحدث مع وزير الخارجية، كيسنجر، وربط معه علاقات وثيقة خرجت عن نطاق ما يستوجبه عملهما الدبلوماسي. هذه العلاقات التي ستساعده عندما يحين الوقت، عندما يصبح رئيسا للحكومة. لقد انهى رابين مهامه كسفير في شهر آذار 1973، كانت الانتخابات الإسرائيلية للكنيست الثامنة في ذلك الوقت على الأبواب، مما جعل رابين ينطلق مجددا لطريق جديد.

أثناء لقاء مع الرئيس الأمريكي ريتشارد ميكسون، 1973
بلطف مكتب الصحافة الحكومي
تصوير: موشيه ميلنر

عضو كنيست من طرف «حزب العمل»

يُعد رابين منذ كان فتى واحد من رجالات «الحركة العمالية»، تربى على يدها وعمل على ضوء مبادئها، لكنه لم يكن ابدا عضوا في الحزب. انضم رابين فور انتهاء ولايته كسفير لأول مرة لصفوف «حزب العمل»، فقامت «لجنة التسوية» التابعة للحزب قبيل الانتخابات التي كان مقررا إجراؤها في شهر كانون الأول بترتيبه في المرتبة العشرين ضمن قائمة «العمل» للكنيست التي تترأسها غولدا مائير.

لكن تبين قبل الانتخابات بأن إسرائيل ليس بصدد انتخابات بل بصدد حرب.

في السادس من تشرين الأول 1973 من ظهر يوم الغفران اندلعت بشكل مفاجئ «حرب يوم الغفران». لم تكن إسرائيل مستعدة مما جعل البلاد تصاب بدهشة. كانت هذه هي الحرب الأولى التي لم يشغل فيها رابين أي دور عسكري.

قبل رابين في اليوم الرابع من الحرب اقتراح وزير المالية، بنحاس سبير، تولي رئاسة صندوق طوارئ لتجنيد الأموال لتغطية نفقات الحرب، فقام بتفعيل علاقاته بنجاح كبير. زعزعت هذه الحرب التي صادفت إسرائيل غير جاهزة الجمهور وكذلك ثقته في الحكومة.

عندما انتهت الحرب بدأت محاسبة النفس. وقام الجمهور الذي كان غارقا في نشوة القوة جراء الانتصار في حرب الأيام الستة بتوجيه غضبه ضد الحكومة وضد « المؤامرة» التي بنتها والتي قادت الدولة إلى الخسارة تقريبا.

أجريت الانتخابات للكنيست في 15 كانون الأول 1973 شارك رابين في الانتخابات وتمتع خلال خوضه لها بمكانة من لم يُعد ضمن المسؤولين عن الاخفاق في الحرب. خسر حزبه في هذه الانتخابات بعض قوته، لكنه مع ذلك نجح في تشكيل الحكومة. عادت غولدا مائير وتولت رئاسة الحكومة وقيادة الدولة، كما وبقي موشية ديان الذي كان ينظر إليه كمسؤول عن الخسارة في الحرب في منصبه. بينما قامت الحكومة بتعيين رابين وزيرا للعمل. هذا التعين الذي لم يكن ملائما تماما لمقايسه، لكنه بالرغم من ذلك بدأ بدراسة التحديات التي تفرضها هذه الوزارة باجتهاد.

تصعب الجمهور في رؤية قادة الخسارة يعودون إلى مناصبهم وطالب بالمحاسبة حسب القانون. في ظل عدم وجود خيار آخر عينت الحكومة لجنة تحقيق رسمية لتقصي الأسباب التي أدت إلى الخسارة في «حرب يوم الغفران» وعين قاضي محكمة العدل العليا المتقاعد، شمعون اغرنات رئيسا لها.

نشرت هذه اللجنة في الأول من نيسان 1974 تقريرا مرحليا.

تطرق التقرير للمستوى العسكري فقط، وحمله كامل المسؤولية. لم يشمل كتاب تعيين الجنة فحص أداء المستوى السياسي، ولذلك لم يتم التطرق إليه. كانت الضحية الكبرى التي تمخض عنها قرار اللجنة هو قائد الاركان دافيد بن العازار الذي تمت إقالته من منصبه.

تحفظ رابين علنا من تقرير اللجنة وانتقد بشدة محرر كتاب تكليفها الجزئي. حيث ابرز من خلال كلامه مسؤولية المستوى السياسي في دولة ديمقراطية أن جميع نشاطات الجيش التي يتم تنفيذها لا تتم إلا بأمر من المستوى السياسي فقط لا غير. لقد ثار رابين بشكل خاص ضد القاء المسؤولية على كاهل قائد الأركان، دافيد العازار، الذي رأى فيه قائدا جريئا لم يحظى بالتقدير الذي يليق به.

بدأ جنود الاحتياط الذين تسرحوا للتو بالانضمام إلى المظاهرة الفردية التي نظمها جندي الاحتياط، موتي اشكنازي، والتي ما لبثت إلا وجرت إليها سريعا احتجاجات من الجمهور الواسع أيضا، مما حدا بغولدا مائير إلى تقديم استقالتها في 11 نيسان 1974 بفعل وطأة الضغط الجماهيري. لقد جاء انتخاب رابين لاشغال منصب رئيس الحكومة مفاجئا بقدر كبير مع ذلك كان من الواضح لدى رؤساء «حزب العمل» بأنه ينبغي أن يتسلم رئاستها شخص لم يكن متورطا بالفشل في الحرب. حظي رابين بدعم من مجموعة مركزية من بين أوساط قدامى أعضاء حزب ماباي، ممن عرفوه عن قرب ووثقوا بمهاراته وقيادته. كما وصب في ميزانه ماضيه كقائد للأركان الذي حقق النصر في «حرب الأيام الستة»، وفترة ولايته الناجحة في واشنطن. جسد رابين في شخصيته، احتمال اعادة ثقة الجمهور بـ «حزب العمل». فاز رابين في الانتخابات الداخلية التي جرت داخل الحزب على المرشحين الآخرين وتم انتخابه لرئاسة حكومة دولة إسرائيل السابعة عشرة.

رئيس حكومة إسرائيل

بدأ رابين مهام ولايته كرئيس للحكومة في الثالث من حزيران من العام 1974. اعتمدت حكومته في بداية طريقها على ائتلاف حكومي يتألف من 61 عضو كنيست، شغل فيه شمعون بيرس منصب وزير الدفاع. من منطلق الوفاء لناخبيه ولقيم حزبه واصل رابين استمرارية السلطة لكن في نفس الوقت مثل تغيير الورديات في الحكومة واستعدادها للتغيرات.

تجسدت مهامه الأساسية في 'حياء المبادرة السياسية مجددا، وفي التقدم نحو السلام. تم قبل تسلمه وظيفته بين إسرائيل وسوريا التوقيع على اتفاقية فك الاشتباك بين سوريا وإسرائيل التي انهت عمليا حرب يوم الغفران مع سوريا. تم التوصل لهذه الاتفاقية بمساعدة وزير الخارجية الأمريكي، هنري كيسنجر. انطلاقا من نقطة انطلاقه هذه كان يمكن لرابين مواصلة مبادرة السلام الإسرائيلية وتحديد مصر كوجهة أولى له.

من خلال ثقته برؤيته القائلة بأن الفجوات بين الأطراف لا تمكن من تحقيق سلام كامل سعى رابين للتوصل إلى اتفاق مؤقت. بدأت على أثر موافقة مصر على إجراء مفاوضات منفردة مع إسرائيل مداولات بين الدولتين بواسطة وزير الخارجية الأمريكي، هنري كيسنجر، الذي رأى في هذه الاتفاقية فرصة لتقليص التأثير السوفيتي في المنطقة.

قام كيسنجر برحلات مكوكية مرهقة والقى بكامل ثقله على الجانبين في حين استمرت المفاوضات أشهر طويلة، رافقتها صعوبات وأزمات متواصلة.

كان رابين يعي المخاطر التي تنطوي عليها الاتفاقية بالنسبة لإسرائيل وكذلك الفرص الكبيرة التي تكمن فيها أيضا، وكان مستعدا «لقطع الميل الآخر» لكي يصل إلى تسوية. كان ينبغي عليه أن يحصل قبيل التوقيع على أغلبية برلمانية تدعم هذا القرار الرائد. تم تحت رعاية سكرتير عام الأمم المتحدة، كورت فالدهايم، التوقيع في الأول من أيلول من العام 1975 في جنيف على اتفاق مؤقت مع مصر، الدولة العربية الأقوى. التزمت إسرائيل بموجب هذا الاتفاق بسحب قوات جيش الدفاع من المناطق الواقعة شرقي قناة السويس وإعادة حقول النفط الواقعة في أبو رديس لمصر. بينما تعهدت الولايات المتحدة بزيادة الدعم الأمني والاقتصادي لإسرائيل، والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني. كانت هذه هي المرة الأولى التي وافقت فيها مصر على التوقيع على اتفاقية منفردة مع إسرائيل، كما تم الاتفاق بين الدولتين على معاودة التواجد الأممي في سيناء وعلى تقليص الدعاية المعادية لإسرائيل.

أثناء مؤتمر صحفي، المانيا، تموز 1975
بلطف، مكتب الصحافة الحكومي
تصوير: موشيه ميلنر

تمت المصادقة على الاتفاق في الكنيست بأغلبية ساحقة، وشكلت واحد من انجازات رابين البارزة كرئيس حكومة. يمكن القول بعد توقيع هذا الاتفاق أنه شكل المرحلة الأولى التي بنيت عليها اتفاقية السلام الكاملة مع مصر التي تم توقيعها بعد مرور أربع سنوات من قبل حكومة «الليكود» برئاسة مناحيم بيغن. بالإضافة لهذه الاتفاقية هنالك انجازا آخر حققه رابين كرئيس حكومة يتمثل في «اتفاقية التفاهمات» مع الحكومة الأمريكية برئاسة جيرالد فورد والذي بدونه لم يكن يمكن التوصل إلى الاتفاق المؤقت مع مصر.أخذت الولايات المتحدة ضمن إطار هذا الاتفاق على نفسها تعهدات ذات انعكاسات بعيدة المدى على أمن إسرائيل واقتصادها.

قام رابين ضمن إطار محاولاته لدفع الحديث قدما مع دول عربية أخرى، بعقد لقاءات سرية مع الملك حسين، ملك الأردن وكذلك بزيارة سرية هي الأولى التي يقوم بها رئيس وزراء إسرائيلي للملك الحسن ملك المغرب.

لم تغادر القضية الفلسطينية جدول الأعمال حيث تواصلت العمليات العدوانية وفي ظلها عارض رابين بشدة إجراء أي مفاوضات مع منظمة التحرير لأنه رأى فيها منظمة ارهابية مسؤولة عن للعمليات العدائية التي تشن ضد إسرائيل. في حين استمر في رؤية حل القضية الفلسطينية «خطة الون» التي وضعها في عام 1967 هذه الخطة التي تبناها «حزب العمل» رسميا في عام 1973 كما ونفت بشكل قاطع قيام دولة فلسطينية في المناطق، وحددت أن حل القضية الفلسطينية لن يتحقق إلا ضمن المملكة الأردنية.

حسب روح هذه الخطة دعم رابين قيام استيطان يهودي أمني في المناطق لكنه رفض بشدة قيام استيطان يهودي داخل التجمعات السكانية العربية.

بخصوص هذا الشأن تعرض لمواجهة مع « غوش ايمونيم، تلك الحركة التي قادت عملية الاستيطان اليهودي في المناطق المأهولة في المناطق. حيث رافق هذه المواجهات غير مرة أصوات غاضبة.

بالرغم من ذلك تجنب رابين الصدام مع المستوطنين. بالرغم من بعد تردد ورغم عدم رضاه، صادق رابين على إقامة المستوطنة اليهودية في قدوم.

معارضته المبدئية لم يفلح في الحيلولة دون استمرار أعمال الاستيطان في المناطق الكثيفة بالسكان الفلسطينيين.

كانت قضية الوسط العربي في الدولة شاخصة أمامه بكل حدتها، تلك القضية المتمثلة في «يوم الأرض» الذي تم إحياءه لأول مرة من قبل العرب في إسرائيل في 30 آذار 1976.

تم تنظيم الاضراب على أثر سياسة «تهويد الجليل» ومصادرة الأراضي العربية. حيث انفجر غضب خلال المظاهرات فقامت قوات الأمن بالرد بإطلاق النيران الحية مما أدى إلى مقتل 6 متظاهرين وجرح الكثيرين. أدت هذه الأحداث إلى إثارة غضب الجمهور العربي برمته، كما وأثارت انقادات لاذعة بين أوساط الجمهور اليهودي أيضا، مما جعل رابين يعيد النظر في نظرة الدولة للأقلية العربية. قام رابين خلال فترة ولايته الثانية كرئيس حكومة بتطبيق العبر التي استنتجها وقاد تغيرا دراماتيكيا في هذا المجال. كما وقام رابين خلال فترة ولايته بالاندماج في الحلبة الحزبية الداخلية لحزبه، وتعلم لأول مرة التعرف عليها عن قرب من خلال زياراته للفروع، التقى بالناس ودرس مشاكلهم ليس هذا فحسب بل بلور بصفته شخص يريد المنافسة في المستقبل على مكانه في رئاسة حزبه معسكر مؤيديه.

في خضم ذلك واصل رابين سياسة «حزب العمل» التقليدية فيما يتعلق بالمجال الاقتصادي والاجتماعي. طُلبت حكومته بالتعامل مع العجز الاقتصادي الذي تولد على أثر «حرب الأيام الستة» ومع التقليصات المترتبة عليه.

على الرغم من الصعوبات، استمر النمو الاقتصادي وتم الحفاظ على شبكة الضمان الاجتماعي. حيث زاد حجم ميزانية جهاز التعليم، وتم بذل جهودا كثيرة في سبيل تحسينه. فضلا عن ذلك اهتمت حكومته بخلق أماكن عمل حيث تقلصت الفجوات الاجتماعية في المجتمع الإسرائيلي. لقد نالت هذه النجاحات تقدير الجمهور. مع ذلك عكرت قضايا فساد ارتكبتها شخصيات رفيعة في حزبه على انجازات حكومته وألبت عليها الكثيرين. حيث اماطت تعابير مثل «مللنا منكم يا فسدة» اللثام عن مزاج وطني جديد، زد على ذلك ترسبات «حرب الغفران» لم تزول بعد.

علاقة رابين مع وزير دفاع حكومته، شمعون بيرس، التي كانت منذ البداية متوترة، تفاقمت حدتها خلال سنوات ولايته لدرجة أن أصدائها تغلغلت غير مرة لعناوين الصحف.

قام في السابع والعشرين من حزيران من العام 1976 فلسطينيون باختطاف طائرة ركاب تابعة لشركة «ايرفرانس» وهبطوا بها في عنتيبي في أغندا. كانت الطائرة تقل على متنها 230 راكبا من بينهم 83 اسرائيليا. بعد مرور ستة أيام مرهقة على اختطاف الطائرة وبعد أن تم اقناعه بنجاح العملية اتخذ رابين قرارا بصدد القيام بعملية عسكرية لإطلاق سراح الرهائن. أعتبرت هذه العملية أحد العمليات الجريئة التي نفذها جيش الدفاع مما رفع شأن جيش الدفاع وشأن إسرائيل في العالم، واعتبر إحدى لحظات تألق حكومة رابين الأولى.

وصلت في العاشر من كانون الأول من العام 1976 من الولايات المتحدة إلى البلاد طائرات اف 15 الأولى التي بذل رابين في سبيل الحصول عليها جهدا جهيدا أثناء فترة ولايته هناك كسفير.

كان ينبغي أن يسجل وصول هذه الطائرات كانجاز لكنه انتهى بمرارة شديدة بسبب تأخير غير متوقع أدى إلى هبوط الطائرات بعد دخول السبت الأمر الذي جعل مستقبليها يتهمون بانتهاك حرمة السبت مما أدى إلى حدوث أزمة حكومية مع الأحزاب الدينية.

قرر رابين استغلال الأزمة في تقديم موعد الانتخابات التي كان ينبغي حسب اعتباراته أن تؤدي إلى زيادة قوة حزبه لذلك قدم في الواحد والعشرين من كانون الأول استقالته للرئيس. قامت حكومته منذ هذه اللحظة ولغاية إجراء انتخابات كنيست جديدة بأداء مهامها كحكومة انتقالية. ظهر على خلفية ذلك منافس جديد ينافس «حزب العمل»، حركة «شينوي» والتي أطلق عليها بعد مرور وقت قليل اسم «داش» — الحزب الديمقراطي للتغيير الذي تجمعت بين صفوفه شخصيات معروفة، من بينها لحم من لحم «الحركة العمالية».

بالإضافة لذلك صادف دربه حاجزا آخر تمثل في منافسة شمعون بيرس له مرة ثانية على رئاسة الحزب.

تمت المنافسة في الثالث والعشرين من شباط من العام 1977 حيث فاز فيها رابين حتى لو كان ذلك بنسبة ضئيلة.

أجريت الانتخابات لرئاسة الولايات المتحدة وهو لا يزال يرأس الحكومة الانتقالية حيث تمخضت الانتخابات عن فوز المرشح الديمقراطي، جيمي كارتير كما هو الحال في الماضي أمل رابين بفوز جيرالد فورد المرشح الجمهوري لكنه تأقلم بسرعة وبدأ يستعد تمهيدا لعقد لقاء في البيت الأبيض.

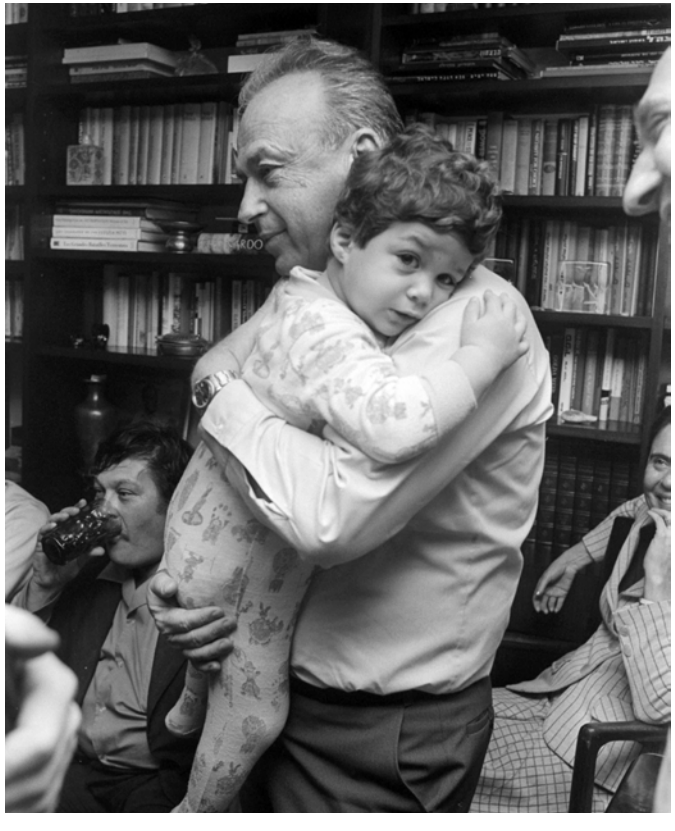

بمعية حفيده يونتان، 1977
بلطف مكتب الصحافة الحكومي
تصوير: يعكوف ساعر

في المعارضة

عُقد اللقاء في السابع من آذار من العام 1977 وقام خلاله كارتر بوضع مسألة دفع السلام في الشرق الأوسط قدما كهدفه الأساسي. كانت خطة كارتر تشمل إقامة دولة فلسطينية وانسحاب إسرائيل من كامل المناطق، هذه الخطة التي كانت قد رفضت من قبل رابين في السابق.

لقد كشفت الزيارة عمق هوة اختلاف الرأي مع الحكومة الجديدة في الولايات المتحدة.

بقي للانتخابات في إسرائيل شهرين، وقد عابت الخلافات في الرأي مع الرئيس الأمريكي على مكانة رابين في المعركة الانتخابية التي كان يستعد لها.

نشرت صحيفة «هارتس» عند عودته من الولايات المتحدة، خبرا مفاده بأن هنالك حساب بنك في الولايات المتحدى يعود لعائلة رابين، كان هذا الأمر يعتبر محظورا في تلك الأيام.

قرر المستشار القضائي للحكومة آنذاك، اهارون براك، تقديم ليا رابين، عقيلة رئيس الحكومة للمحاكمة، فقرر رابين تحميل نفسه المسؤولية معها أيضا وقدم في السابع من نيسان من العام 1977 استقالته. وبالتوازي مع ذلك سحب ترشيحه من رئاسة قائمة حزبه للانتخابات القريبة وبدلا منه تم ترشيح شمعون بيرس لرئاسة القائمة.

بموجب القانون واصل رابين في القيام بمهامه كرئيس للحكومة الانتقالية لغاية دخول مناحيم بيغن لمكتب رئيس الحكومة.

حظي قرار رابين القاضي بتحمل المسؤولية المشتركة عن المخالفة إلى جانب عقيلته لتقدير الجمهور كما وساعده ذلك لاحقا في الانتخاب مرة أخرى للوظيفة المرموقة.

«لا يمكنني أن أكون الآن مرشح الحزب لرئاسة الحكومة. ليس بسبب شدة المخالفة، بل لأنني ارتكبت مخالفة، حتى لو كانت تقنية، فأنا مضطر للتصرف وفق تربيتي، تقليدي، عقيدتي وأن أدفع ثمنها. هذا بنطبق على كلّ مواطن، فما بالك برئيس الحكومة الذي يطلب ثقة الشعب لتولي ولاية أخرى»

حصل انقلاب في الانتخابات التي أجريت في السابع عشر من العام 1977 حيث تم تسليم مهمة تشكيل الحكومة لأول مرة منذ قيام الدولة لزعيم «الليكود» مناحم بيغن. فانتقل «حزب العمل» انتقالا حادا لأول مرة للمعارضة معه رابين أيضا. اعتبارا من الآن اتخذ له ملجأ في مكتب صغير في الكرياه في تل أبيب وضع تحت تصرفه بصفته رئيس حكومة سابق. أخذ الأصدقاء بالتوافد على المكان وكذلك أكثر الصحافيون من التحدث معه، وكأنه نفي إلى صحراء السياسة. لكن بعد فترة تأقلم واصل، وإن كان على نار هادئة، القيام بنشاطاته. حيث شغل منصب عضو كنيست وعضو في لجنة الخارجية والأمن وكان أيضا مشاركا في ما يجري داخل الحلبة الحزبية. وجهه جل نشاطه لكتابة كتاب مذكراته، «دفتر الخدمة»، قام من خلاله بتلخيص دربه ابتداء من فتوته لغاية نهاية ولايته كرئيس حكومة. كتب الكتاب مع صديقه الصحفي، دوف غولدشتاين. يشكل هذا الكتاب شهادة هامة للتعرف على «قالب طيّف وطن» الاسرائيلي الأول المولود في فلسطين الذي وصل لمقعد رئيس الحكومة. قصته هي قصة الحربين اللتان رسمتا في حياته، حرب الاستقلال وحرب الأيام الستة، تطور جيش الدفاع، تطور العلاقات المميزة بين إسرائيل وبين الولايات المتحدة، وكذلك نظرته الشخصية إلى الحلبة السياسية الإسرائيلية. عبر رابين من خلال كتابه أيضا عن عملية تأقلمه داخل الحلبة الحزبية بشكل عام ولتلك الموجودة داخل حزبه بشكل خاص. حاسب خصومه السياسيين وخاصة سمعون بيرس. اثار الكتاب اهتماما كبيرا، كما وحظي إلى جانب المدح بالانتقاد وخاصة داخل حزبه.

تفرغ رابين في هذه الفترة من حياته أكثر من أي فترة أخرى في الماضي إلى ممارسة هواياته — التصوير والتنس- للقراءة، لكتابة المقالات وللسفر. رافق من مكانه في مقاعد المعارضة زيارة الرئيس المصري، أنور السادات، للكنيست بدهشة ورأى فيها حدثا ثوريا . دعم بسياسة السلام التي انتهجتها الحكومة واتفاقية السلام مع مصر مع تحفظه من بعض البنود التي شملتها هذه الاتفاقية.

لقد تحفظ من موافقة إسرائيل على الانسحاب لحدود عام 1967 حيث رأي في هذا الانسحاب سابقة ملزمة لإسرائيل عند ابرام اتفاقيات مستقبلية. استجاب رابين خلال العام 1980 لعرض دوف يودكوبسكي، أحد محرري «يديعوت أحرونوت، وسافر

مع الصحفي ايتان هابر في رحلة لقاءات طويلة مع شخصيات بارزة في السياسة العالمية آنذاك، تحدث معها عن كل ما يجري في العالم.

استمرت هذه اللقاءات في عام 1983 أيضا وتم ادخلها في الكتابه الذي صدر في عام 1984 تحت عنوان «يتسحاك رابين يتحدث مع قادة ورؤساء دول». يتبين من الكتاب المام رابين بالمشاكل الدائرة في الحلبة الدولية وبالتغيرات الحادثة فيها، وخاصة انعكاساتها على مستقبل إسرائيل. شارك رابين مشاركة فعالة في حياة الحزب، حيث دعم في التمهيد للانتخابات الداخلية في «حزب العمل» لرئاسة الحكومة ترشيح صديقه وقائده، يجئال الون، الذي تنافس أمام بيرس على رئاسة الحزب. قلبت وفاة الون المفاجئة في التاسع والعشرين من شباط من العام 1980 مخططات رابين رأس على عقب، حيث اعلن وسط مباركة أرملة ألون عن ترشيحه لمنصب رئاسة الحكومة. فقام خلال عدة أشهر بتشكيل «معسكر رابين». لكنه مني بهزيمة في الانتخابات التي أجريت داخل حزبه في كانون تشرين الثاني. كما وفاز «الليكود» برئاسة مناحيم بيغن في الانتخابات للكنيست العاشرة التي أجريت في 30 حزيران 1981 حيث بقي «حزب العمل» مرة أخرى في المعارضة.. قامت حكومة بيغن بعد نهاية عامها الأول بعملية «سلامة الجليل» بغرض حماية البلدات الشمالية. دعم رابين الذي كان على اطلاع جيد بمشاكل البلدات الواقعة على الحدود الشمالية الحملة وهي في مراحلها الأولى حيث كان يُعد أحد مستشاري وزير الدفاع اريئل شارون، إلا أنه عارضها بشدة عندما طالت وتوسعت أهدافها.

لقد رفض نهائيا أهداف الحملة السياسية الرامية إلى تحقيق «تسوية جديدة في لبنان» وعاد وحذر من غوص جيش الدفاع الإسرائيلي في «الوحل اللبناني» والتورط في «العقدة» اللبنانية. دعى إلى سحب قوات جيش الدفاع من عمق لبنان وتركيزها في رقعة أمنية يقوم منها جيش الدفاع بالدفاع عن جدود إسرائيل الشمالية.

عبر رابين عن مواقفه من خلال الكنيست، مقابلات، مقالات في الصحف ومناسبات حزبية. تم في عام 1983 تجميع مقالاته وأقواله حول الحرب في كتاب «حرب لبنان».

أجريت الانتخابات للكنيست الحادية عشرة في 23 تموز 1984 حيث كان شمعون بيرس على رأس «حزب العمل». تفوق «الليكود» في هذه الانتخابات على «حزب العمل» بثلاثة مقاعد. نظرا للنتيجة التي تكاد تكون متعادلة وعلى ضوء الحرب في لبنان التي طالت تم تشكيل «حكومة وحدة وطنية». تم خلال المفاوضات بين الحزبين على التناوب في تولي منصب رئيس الحكومة بحيث يتولى رئاسة الحكومة شمعون بيرس أولا وهو الذي اختار رابين لإشغال منصب وزير الدفاع في حكومته.

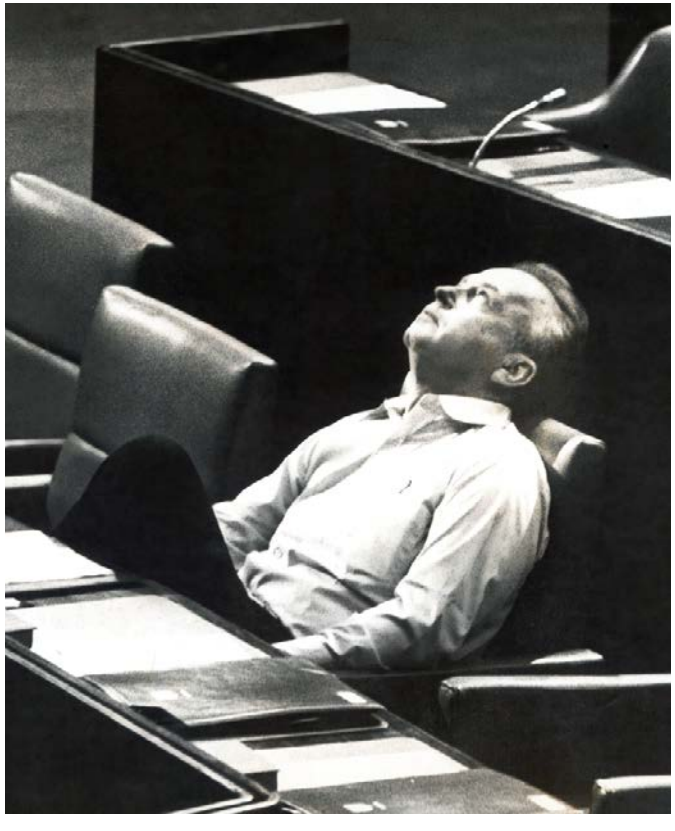

في الكنيست، 1980
تصوير: حنانيا هرمان

وزير الدفاع

كان اختيار رابين الاشغال منصب وزير الدفاع أمرا بديهيا. فلقد برز بين جميع أعضاء الحكومة على أنه «سيد أمن»، يتمتع بخبرة عسكرية وسياسية على حد سواء حيث استقبل تعينه بالترحاب من قبل الجمهور. كانت المهمة الأولى والعاجلة التي تقف نصب عينيه الوفاء بتعهد حزبه قبل الانتخابات بإخراج جيش الدفاع من لبنان على مراحل مما جعل الحكومة تتخذ قرارا بهذا الشأن في 15 تشرين الثاني 1985.

بحسب القرار خرج جيش الدفاع من لبنان ولكن بقيت 15 كم في جنوب لبنان تحت السيطرة الإسرائيلية لتشكل «منطقة أمنة». أوكل الاهتمام بالشؤون الأمنية في هذه المنطقة لجيش لبنان الجنوبي الذي تعاون مع إسرائيل كما وعملت في هذه المنطقة قوات اليونيفيل، وقوة صغيرة نسبيا من جيش الدفاع. حيث عملت هذه القوات معا على الحفاظ على الحدود الشمالية وبهذه الطريقة استمر عمل «الجدار الطيب» الذي مر منه على طرفي الحدود يوميا سكان من جنوب لبنان للعلاج والعمل في إسرائيل.

لم ينهي الانسحاب مسألة الحرب حيث بقي في لبنان ثلاثة أسرى كانوا محتزين لدى منظمة أحمد جبريل. لقد رأى رابين في إعادتهم واجبا وطنيا. تم ضمن الصفقة التي وقع عليها رابين والتي عرفت باسم «صفقة جبريل» إطلاق سراح 1150 أسيرا فلسطينيا مقابل ثلاثة أسرى إسرائيليين حيث كان الثمن باهظا.

كان رابين يعلم جيدا غلاء الثمن لكن التزامه تجاه الأسرى الإسرائيليين هو الذي رجح الكفة لصالح الصفقة التي أثارت ضده موجة انتقادات من قبل اليمين ومن قبل جهات معينة في جيش الدفاع أيضا. على الرغم من الانتقادات بقي مصرا على وقوفه وراء الصفقة، حتى في ظل الهجمات الشخصيّة عليه. كان تحمل المسؤوليّة إزاء حياة كل مواطن وكل جندي إسرائيلي أحد العلامات المميزة لفترة ولايته كوزير للدفاع وكرئيس للحكومة. كانت الامتحانات الكبرى لا تزال أمامه، تلك الامتحانات التي تمثلت في اندلاع «الانتفاضة» في نهاية كانون الأول من العام 1987 والتي كانت بمثابة ثورة شعبية، قام بها الفلسطينيون سكان المناطق. لكن رابين لم يلاحظ ميزاتها في البداية. فاعتقد خلال أشهرها الأولى بأن الحل المناسب لها، هو الحلّ العسكري وعمل على قمعها بالقوة.

بعد مرور بضعة أشهر من الصراع اقتنع بأن هذه الانتفاضة هي حدث يحمل طابعا جديدا لم يسبق له أن خاضه في الماضي، حيث ايقن بأن تحريك هذه الانتفاضة يأتي من قبل السكان المحليين وليس وفق تعليمات قيادة منظمة التحرير الموجودة في تونس، كما وأدرك بأنها تعبر عن طموحات وطنية فلسطينية حقيقية، وعن يأس الجمهور الفلسطيني من الوضع القائم.

مع ذلك، كان جازما في سياسته في منع الارهاب من تحقيق أي انجاز، حيث كرر وقال «لن يتم تحقيق أي شيّ بالقوة، بل حول طاولة المفاوضات فقط»، وعمل بهذه الطريقة مستخدما جميع الوسائل المتوفرة لدية لأجل الحاق الضرر بمن ينفذون الارهاب ويخلون بالنظام. كما وسمح باستخدام جميع الأسلحة التي يسمح باستخدامها القانون بما في ذلك الابعاد، ومنع العمال الفلسطينيين من الخروج للعمل في إسرائيل.

من بين التفوهات التي تفوه بها، نسب إليه التعبير «سنكسر عظامهم» على الرغم من انكاره لاستخدام هذا التعبير، إلا أنه اعترف بنية في ضرب من يقومون بالعمليات العدائية، ومن يخلون بالنظام العام، بقوة لكن دون قتلهم. مما جعل اليسار يرى سياسته هذه على أنها غير أخلاقية، ولا تبعث على الأمل، بينما نظر لها اليمن على أنها غير كافية.

كما وازدادت تخوفاته من التراجع الذي لمسه في متانة جيش الدفاع الأخلاقية. كان رابين يصغي للرأي العام الإسرائيلي الذي تحفظ من تحويل جنود جيش الدفاع الإسرائيلي لقوة شرطية تواجه السكان المدنيين، من النساء والأطفال. بالإضافة لذلك كان متنبها لتأثير الانتفاضة على روح جيش الدفاع الإسرائيلي القتالية، وعلى الصعوبة التي يلاقيها جيش الدفاع في القيام بوظائفه التقليدية، على مكانته كجيش الشعب. كلما مرت الأيام بدأ يدرك بأن استعداد الفلسطينيين لتحمل الخسائر تفوق ما كان يتوقعه، وأن القوة لوحدها لن تحقق الهدوء، من هذا المنطبق كان استنتاجه السياسي بأنه ينبغي الاعتراف بالقيادة الفلسطينية المحلية، والشروع بمفاوضات معها حول مستقبل المناطق السياسي. لكنه في هذه المرحلة لم يزل متمسكا برأيه بأن القضية الفلسطينية ستجد حلها بواسطة تسوية مشتركة مع الأردن، وليس ضمن إطار دولة فلسطينية مستقلة. وأن دولة كهذه ستشكل تهديدا لأمن إسرائيل، لذلك دعم الاتصالات مع الملك حسين، وحتى أنه التقى به سرا.

التقى شمعون بيرس في نسيان من العام 1987 بالملك حسين في لندن، وتوصل معه إلى صياغة ورقة تفاهمات. من الناحية المبدئية دعم رابين هذه الخطوة، لكنه كان واقعيا بما فيه الكفاية، لكي يدرك بأن رئيس الحكومة، يتسحاك شامير لن يتقبل هذه الورقة، لذلك لم يحصل تغير في الواقع السياسي إلا بعد مرور عام ونصف العام على ذلك. قرر الملك حسين في تموز من العام

1988 فك الارتباط مع الضفة الغربية مما اسقط من جدول الاعمال دفعة واحدة «فكرة الكونفدرالية بين الضفة الغربية والأردن» التي كان يتمسك بها رابين منذ حرب الأيام الستة، مما حتم عليه البحث عن حل آخر.

كان رابين يعلم منذ زمن أن الولايات المتحدة تجري اتصالات مع منظمة التحرير، ترمي إلى جلب هذه المنظمة لطاولة المفاوضات. لقد فتحت فرجة صغيرة خلال اجتماع مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية في تشرين الأول من العام 1988، حين اعترف «المجلس الوطني الفلسطيني» رسميا بقرار هيئة الأمم المتحدة الصادر عام 1947 والقاضي بتقسيم أرض إسرائيل لدولتين، وكذلك بقرارات مجلس الأمن رقم 242 ورقم 338 القاضي بانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها خلال «حرب الأيام الستة» وحرب» الغفران».

شقت هذه القرارات التي تم اتخاذها بضغط أمريكي، الطريق إلى إجراء محادثات بين الولايات المتحدة وبين منظمة التحرير، وإلى لاعتراف بمنظمة التحرير كشريك في المحادثات حول مستقبل أرض إسرائيل. قرأ رابين خريطة التغيرات جيدا، وفهم مصالح حليف إسرائيل الأساسي، حيث توصل إلى استنتاج افضى بأن على إسرائيل أخذ بعض المخاطر والتقدم بمبادرة سلام من طرفها. قام رابين في كانون الثاني من العام 1989 وسط التقيّيد بالقيود التي تفرضها الشراكة داخل الائتلاف الحكومي، وموقف رئيس الحكومة، يتسحاك شامير، بنشر خطته التي تتضمن ثلاثة مراحل: سماح إسرائيل في المرحلة الأولى بإجراء انتخابات حرة في المناطق، يقوم سكان المناطق من خلالها بانتخاب قياداتهم وبالتالي تقوم القيادة المنتخبة بإدارة حكم ذاتي فلسطيني، وهو نفس الحكم الذي تم الاتفاق عليه مع مصر سابقا في عام 1978 ضمن اتفاقية السلام معها. وظيفته ضمان الهدوء في المناطق. بيتما تتم المرحلة الثانية ضمن مؤتمر دولي، يتم من خلاله منح هذه الخطوة دعم العالم، في حين يتم من خلال المرحلة الثالثة إجراء مفاوضات حول التسوية الدائمة. تحت الضغط الأمريكي قبلت حكومة شامير هذا الاقتراح، وسط إضافة تعديلات بسيطة. تمت المصادقة على هذه الخطة من قبل «المجلس الوزاري المصغر» في الخامس من تشرين الثاني من العام 1989. لقد أدت مبادرة السلام الإسرائيلية إلى تحسين علاقة إسرائيل مع الولايات المتحدة ومع العالم الحر. مع ذلك تصعب رئيس الحكومة، يتسحاك شامير تذويت هذه الخطة حتى بعد مصادقة المجلس الوزاري المصغر عليها، وعمل كل ما بوسعه للحيلولة دون تنفيذها.

على أساس هذه الخلفية قرر «حزب العمل» التصويت على حجب الثقة عن حكومة شامير، حيث حاول شمعون بيرس تشكيل حكومة ضيقة برئاسته، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل، مما جعل رئيس الحكومة، يتسحاك شامير يقرر تنحيته عن منصبه.

رد على إقالة بيرس من منصبه قام في الخامس عشر من آذار من العام 1990 جميع وزراء «حزب العمل» بالاستقالة من الحكومة وعادوا إلى مقاعد المعارضة. بعد حوالي ست سنوات صاخبة، شغل رابين خلالها منصب وزير الدفاع، انهى مهامه في هذا المنصب. استمرت حكومة شامير في أداء مهامها كحكومة انتقالية لغاية انتخابات الكنيست الثالثة عشرة.

برفقة صحافيين بالقرب من رفح، 1987
بلطف مكتب الصحافة الحكومي
تصوير: ماغي الون

مرة ثانية في المعارضة

عاد رابين إلى مقاعد المعارضة مزودا بالإصرار على الفوز بقيادة حزبه قبيل الانتخابات القادمة. كان من الواضح لدية بأنه تنتظره منافسة شديدة أخرى أمام شمعون بيرس. ليس هذا فحسب، بل انضم أيضا إلى هذا السباق عضو الكنيست، يسرائيل كيسار، وأورة نمير. كان يقف خلف رابين معسكر مؤيدين مبلور يزداد بشكل متواصل لدرجة أنه انضم إليه مؤيدين ليسو من بين أوساط أحزاب شتى.

لأجل إعطاء تعبير للدعم الواسع الذي يحظى به والذي لا يتوقف على أتباع حزب معين، عمل رابين جاهدا لتغيير طريقة الانتخابات لرئاسة الحزب، ودعى إلى تبني طريقة «الانتخابات التمهيدية المفتوحة» والتي يمكن بحسبها لكل مواطن غير منتمي لاي لحزب الانتساب لأي حزب والمشاركة في انتخاب مرشح الرئاسة للحكومة. كانت هذه الطريقة قد تمت مناقشتها داخل الحزب منذ زمن حيث عبر الكثيرون ممن قد ملوا من «اللحنة التسويات» دعمهم لها.

أوقف نشوب «حرب الخليج» التي وقعت في كانون الثاني من العام 1991 بين الولايات المتحدة والعراق تحضيراته للانتخابات التمهيدية. كان رابين وهو بعيد عن مركز اتخاذ القرار، يراقب ما يدور في هذه الحرب حيث ادعى عندما بدأ تلقي الضربات الصاروخية من جانب العراق بأن على إسرائيل ضبط نفسها وعدم الرد كما وينبغي عليها عمل كل ما بوسعها في سبيل عدم زج الصراع الإسرائيلي — العربي في حرب ليس لها فيها ناقة ولا جمل. كان رابين واثقا من التفوق العسكري الأمريكي حيث رأى في انتصارهم فتحة لخلق واقع سياسي جديد في الشرق الأوسط. لذلك دعم استجابة إسرائيل لطلب الولايات المتحدة الأمريكية بعدم التدخل في الحرب. لقد رأى رابين في هذه السياسة خطوة هامة من شأنها توثيق التفاهمات بين إسرائيل وبين الولايات المتحدة لذلك دعم سياسة ضبط النفس التي انتهجتها حكومة شامير.

بصفته أحد سكان تل أبيب، ومواطنا عاديا كان خاضعا لتعليمات الجبهة الداخلية، لكن لكونه وزيرا سابقا للدفاع كان هناك من اتهمه بالتسبب في وضع الجبهة الداخلية المزري لكنه صد هذه التهم وادعى بأنه لم يكن يمكن فعل المزيد اعتمادا على ميزانية وزارة الدفاع حيث ادعى فيما ادعى بأن وزارته كانت قد أجرت مفاوضات وصلت إلى مراحل متقدمة حول شراء صواريخ «باتريوت» وأن الصناعات الجوية تعكف على تطوير صواريخ «باتريوت» المضادة لصواريخ «هحيتس».

راقب رابين عبر نافذة بيته قوافل السيارات التي تغادر تل أبيب كل مساء، ورأى بأسف بأنه قد حل تراجع بقوة مناعة الجبهة الداخلية الإسرائيلية. شوشت الحرب مجرى المعركة الانتخابية الداخلية في حزب العمل لكنها لم توقفها تماما.

زاد بعد أن وضعت الحرب أوزارها تمسك رابين برأيه القائل بأنه قد تم خلق ظروف أفضل من ذي قبل لحل الصراع الإسرائيلي — العربي. كما وكان مقتنعا بأن مواطني إسرائيل قد أصبحوا ناضجين أكثر من ذي قبل لتقبل عملية سلام وسيدعمون مبادرة السلام لبتي ينوي دفعها قدما. بالرغم من انتقادات استعدادات إسرائيل للحرب، لم تضرر مكانته كـ «سيد أمن» حيث فاز في الانتخابات التمهيدية على خصمه ومنافسه شمعون بيرس. منذ هذه اللحظة أصبح يتوجب عليهما الاستعداد معا للانتخابات للكنيست. من هذا المنطلق كان المنافسان اللدودان على اتفاق تام حول المسائل المركزية التي سيتطلب من الحكومة الجدية التعامل معها. وعلى رأسها مهمة دفع السلام قدما. كان الاثنان شركاء في القرار الرامي للقيام بمحاولة لوضع ترسبات الماضي جانبا والانطلاق نحو طريق مشتركة.

أسس رابين خطته للسلام بادئ ذي بدء على التغيرات التي طالت أجهزة القوى العالمية والتي حدثت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة التي أملت الساسة الدولية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية كما وكانت انعكاسات هذه التغيرات على الشرق الأوسط دراماتيكية.

كان الاتحاد السوفيتي يعتبر مورد السلاح الأساسي للدول العربية من هنا شكل انهياره من ناحيتها ضربة قاصمة. خروج الاتحاد السوفيتي من التدخل في المنطقة وانتصار الأمريكان الحاسم حول الولايات المتحدة إلى الدولة العظمى الوحيدة في المنطقة التي يمكنها أكثر من ذي قبل فرض مخططاتها على الشرق الأوسط. وهكذا تم وضع حل الصراع الإسرائيلي — العربي على رأس جدول الأعمال.

كانت الخطوة الأولى عقد مؤتمر دولي لحل الصراع الإسرائيلي — العربي في مدريد، العاصمة الإسبانية. كما هو مذكور، مرحلة عقد مؤتمر دولي ورد في خطة رابين للسلام، التي تمت المصادقة عليها من قبل المجلس الوزاري المصغر التابع لحكومة الوحدة الوطنية في تشرين الثاني من العام 1989 لكن حكومة شامير استجابت لها على مضض.

أفتتح في 30 تشرين أول 1991 «مؤتمر مدريد» بمشاركة الرئيس الأمريكي، جورج بوش الأب ورئيس روسيا ميخائيل غورباتشوف وفود من الدول العربية وممثلين منتخبين لتمثيل الفلسطينيين شاركوا بصفتهم جزء من الوفد الأردني. بينما كان على رأس الوفد الإسرائيلي رئيس الحكومة، بتسحاك شامير.

أدرك الأمريكيون سريعا جدا أن شامير يحاول «سحب الوقت» لكن على الرغم من ذلك تقرر فتح محادثات سلم بين إسرائيل وجاراتها. واتم تشكيل لجان ثنائية مع سوريا ومع الأردن ولجان متعددة الأطراف لتتعامل مع المواضيع المشتركة.

رئيس الحكومة، شامير، الذي حضر مرغما رفض المقترحات التي تم طرحها.

واصل شامير رفضه حتى في ظل تجميد المساعدات الأمريكية التي طلبتها إسرائيل لاستيعاب القادمين الجدد الذي جاءوا بجماهيرهم من الاتحاد السوفيتي الذي فتح من وقت قريب أبوابه أمام خروج اليهود. راقب رابين من على مقاعد المعارضة سياسة «المماطلة» التي تمارسها إسرائيل وهاجمها بشدة. حيث قدر بأن الوقت يسير ليس لصالح إسرائيل، كما وتعاظم شعوره بذلك في ظل تقدم دول إسلامية وعلى رأسها إيران نحو الحصول على قدرات نووية.

عرف رابين الوقت المتبقي لغاية حصول ذلك بـ «نافذة الفرص» لتحقيق السلام بين إسرائيل وجاراتها. شرح رابين من خلال مقاله «استغلال الاستراحة» الذي نشر في آذار من العام 1992 في صحيفة «باوليتكا» «نافذة الوقت» التي فتحت أمام إسرائيل وحدد حدودها والتحديات الكبيرة التي تطرحها على الحكومة التي ستقود دولة إسرائيل.

في الكنيست، من على مقاعد المعارضة، أيار 1988
بلطف مكتب الصحافة الحكومي
تصوير: يعكوف ساعر

هناك سؤال آخر أكثر من نقاشه وهو استيعاب جماهير القادمين الجدد الذين بدأوا بالقدم من الاتحاد السوفيتي. كما ورأى أيضا في هذه الموجة من القادمين الجدد رافعة اقتصادية ذات أهمية كبرى لاقتصاد إسرائيل ومتانتها.

كانت استجابت الولايات المتحدة لطلب إسرائيل بتوفير ضمانات اقتصادية لاستيعاب القادمين الجدد ضرورية لتحقيق حلم الاجيال في قدوم يهود الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل كما وكانت مرتبطة أيضا بشكل مباشر لحيوية الخطوات الإسرائيلية للتوصل إلى سلام. أثار قدوم القادمين الجدد من الاتحاد السوفيتي حماسا كبيرا في البلاد حيث كان رابين شريكا في الفرحة ووفر لها تعبير من المعركة الانتخابية.

الزيادة الديموغرافية والاعتراف بمساهمته للمرافق الاقتصادية الإسرائيلية عززت رأيه بأنه يمكن لإسرائيل الآن تحمل مخاطر أكثر مما كانت عليه في الماضي، لأجل ذلك هناك حاجة لقيادة جريئة حيث أمن بقدرته على إشغال هذا المنصب.

طريقة الانتخابات التمهيدية التي تمت المصادقة عليها داخل حزبه لم تخيّب الظن حيث حظي بدعم واسع ليس من حزبه فقط جعله يحظى بمنصب مرشح حزب العمل لرئاسة الحكومة.

أطلق حزب العمل حملته الانتخابية للكنيست الثالثة عشر، برئاسته تحت الشعار «إسرائيل تنتظر رابين».

أجريت الانتخابات في الرابع والعشرين من حزيران من العام 1992 حيث حاز حزب العمل رئاسة رابين على حوالي 34% من الأصوات وأصبح الحزب الأكبر في الكنيست. أصبح رابين رئيسا للحكومة وألقى خطابا للإعلان عن نتائج الانتخابات ظل راسخا في الأذهان كخطاب «سأقود» حيث كان رابين مصرا على قيادة حكومة إلى طريق جديد.

«نحن نعيش في فترة تنطوي على خطورة، حيث سيدخل إلى الشرق الأوسط سلاحا غير تقليدي. لذلك، خلال سبع إلى عشر سنوات سنكون مجبرين على دفع العملية السياسية قدما»

مرة أخرى رئيس حكومة

تسلم رابين في الثالث عشر من تموز من العام 1992 ولايته الثانية كرئيس للحكومة. بالإضافة لرئاسة الحكومة شغل رابين في هذه الحكومة منصب وزير الدفاع أيضا. في حين شغل شمعون بيرس منصب وزير الخارجية. كان تعهد رابين للناخب دفع عملية السلام قدما وتغير سلم الأولويات في الاقتصاد. جمع الائتلاف الذي كان يقوده ميرتس من اليسار وشاس من اليمين. من ناحية الميزانيات زادت الميزانيات المخصصة للتعليم، الرفاه، البنى التحتية، للضواحي وللوسط العربي، وتم تخفيض الميزانيات المخصصة للمستوطنات. كما وطالت التقليصات ميزانية الأمن أيضا. زد على ذلك أدى دعمه لسياسة الخصخصة في المرافق الاقتصادية إلى نيل ود القطاع التجاري أيضا. لقد رأى رابين في تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة مصلحة إسرائيلية حيوية وشرطا لتقدم مفاوضات السلام. كما أن استعداده المعلن لتقديم تنازلات اقليمية زاد من التعاون مع الولايات المتحدة.

ادعى من منطلق اصراره على احداث تغيرات خلال العام الأول من ولايته بأنه ينبغي على إسرائيل الاندماج سريعا في عصر التصالح العالمي والقيام بخطوة جريئة في سبيل تحقيق السلام مع الدول المجاورة وحل القضية الفلسطينية.

لقد رأى الرئيس الأب، الذي كان في خضم المعركة الانتخابية لولايته الثانية في رابين الانسان الملائم للقيام بخطوة جريئة. وافق رابين خلال اللقاء الذي عقد مع الرئيس في العاشر من آب على تجميد بناء مستوطنات جديدة والشروع بمفاوضات سياسية. في حين تعهد الرئيس بوش بإزالة معارضة الولايات المتحدة لإعطاء ضمانات لأجل استيعاب القادمين الجدد من الاتحاد السوفيتي بواقع 10 مليار شيكل التي كان تم تجميدها ردا على سياسة حكومة شامير وهكذا شق الطريق أمام نجاح حملة حكومة رابين المتعلقة باستيعاب القادمين الجدد والقيام بتغير سلم الاولويات في الدولة.

التقى رابين ولأول مرة بالمرشح الديمقراطي، بيل كلينتون، الذي سيكون مستقبلا الراعي الأكبر لـ «اتفاقية ـوسلو».

كما كان متوقعا أثار تجميد الميزانيات المخصصة للمستوطنات معارضة من قبل أوساط المستوطنين، التي كانت علاقته معهم متوترة أصلا منذ فترة ولايته كوزير للدفاع.

منذ تلك الفترة لم يغير موقفه المناهض للاستيطان اليهودي في المناطق المأهولة بالسكان الفلسطينيين لكنه في الوقت ذاته كان مؤيدا للاستيطان في غور الأردن ولتكثيف السكن في الأحياء في القدس. احتل ازدياد قوة المنظمات الإسلامية المتطرفة «حماس» و «الجهاد الإسلامي رأس جدول أعمال حكومته الأمني.

قرر رابين على أثر اختطاف وقتل رجل شرطة الحدود، اعطاء تعبير واضح لسياسته حيث قام في خطوة غير عادية باتخاذ قرارا تم بموجبه في السابع عشر من تشرين الأول من العام 1992 إبعاد 415 فردا من أفراد حماس الذي كانوا متورطين في عمليات عدوانية ومن ضمنهم رؤساء المنظمة إلى لبنان. لقد أثار هذا الابعاد انتقادات شديدة في العالم بين منظمات حماية حقوق الإنسان. كما وظهرت إلى جانب هذا الانتقاد صور المبعدين على شاشات التلفاز في العالم.

نظرا لهذه لانتقادات طرحت قانونية الابعاد على محكمة العدل العليا التي قررت بأن هذه العملية قانونية. لقد عبر الابعاد عن سياسة رابين الداعية إلى اتخاذ خطوات شديدة ضد الارهاب وكأنه ليس هناك عملية سلمية من جهة ومواصلة العملية السلمية وكأنه لا يوجد ارهاب.

إلى جانب ذلك تمثلت إحدى الخطوات التي انتهجها في فرض «إغلاق» شأنه منع الفلسطينيين من العمل في إسرائيل. حيث تم وفق هذه الخطوات نصب الحواجز مما تسبب في إلحاق ضرر كبير للاقتصاد الفلسطيني.

تم تجديد المحادثات الثنائية مع الوفد الفلسطيني — الأردني ومع الوفد السوري التي بدأت في واشنطن بعد «مؤتمر مدريد» لكن رابين قرر بسبب تباطؤ المحادثات مع الفلسطينيين تفضيل المحادثات مع سوريا.

بمعيى طلاب في «حيبل تعناخ»، أيار 1995
بلطف مكتب الصحافة الحكومي
تصوير: افي احايون

لقد رأى رابين في السلام مع سوريا هدفا استراتيجيا رفيعا، لذا كان مستعدا لتقديم تنازلات كبيرة في الجولان حتى لو كان ذلك مقابل التصادم مع مستوطني الجولان الذي كان جلهم من مؤيدي حزبه. لكن مطالبة سوريا بانسحاب فوري من الجولان دون التعهد بإبرام اتفاقية سلام كامل أوصلت المفاوضات إلى طريق مسدود.

رافق الأمريكيون المحادثات طوال الوقت لكن معركة الانتخابات الرئاسية التي كانت في أوجها خففت الضغط على المشاركين في المحادثات لبعض الوقت. قام بيل كلينتون الذي فاز في الانتخابات الرئاسية ودخل البيت الأبيض في 20 كانون الثاني من العام 1992 بإعادة الحزب الديمقراطي لسدة الحكم.

في الخامس عشر من آذار من العام 1993 عقد أول لقاء بين رابين وبين الرئيس الجديد في البيت الأبيض. على الرغم من ميول رابين إلى المرشح الجمهوري إلا أنه تولدت بين الاثنين علاقة ثقة وصداقة. كان الاثنان على موافقة تامة بشأن الموضوع الأساسي المتمثل في الضرورة إلى تعجيل عملية السلام. لقد أبدى كلينتون تفهما للإشكاليات التي تواجهها إسرائيل ولقرار رابين الشروع أولا في المفاوضات مع سوريا. أدار رابين المحادثات مع سوريا بنفسه بينما كلف وزير الخارجية، شمعون بيرس، بإجراء المحادثات المتعددة الأطراف. أثار استعداده لتقديم تنازلات كبيرة في الجولان سخط المستوطنين هناك ضده لكنه لم يهب من ذلك ولكن مطالبة سوريا بوضع تسوية مع الفلسطينيين كشرط للتوصل لسلام شكلت محور خلاف آخر.

في الحين التي كانت تجري هذه المحادثات تحت الأضواء حصلت في أوسلو دراما حقيقية.

قام في العشرين من كانون الثاني من العام 1993 أكاديميون إسرائيليون بمبادرة لإجراء محادثات غير رسميّة مع مندوبين فلسطينيين أعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية في أوسلو عاصمة الترويج.

وسط هذه الظروف أعطى إلغاء القانون الذي يحظر عقد لقاءات مع أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية الذي تم تمريره في الكنيست مكانة قانونية.

قام وزير الخارجية، شمعون بيرس مطلعا على مجريات الاحدث في هذه المحادثات بإخبار رابين فورا عنها كما وتم مع تقدم هذه المحادثات ضم موظفين من وزارة الخارجية للمشاركة فيها. على الرغم من اشكك رابين من جدوى هذه المحادثات لكنه وافق عليها. في الحين كانت تتواصل المحادثات الثنائية في واشنطن مع الوفود الرسمية الأردنية — الفلسطينية استمر إلى جانبها تقدم المحادثات السرية في أوسلو.

عندما لوحظ أن هناك أساسا للتفاهمات تم ضم رجال قانون لهذه المفاوضات. كما وتم اطلاع الولايات المتحدة على مجريات المفاوضات حيث قامت بمرافقتها عن بعد. على الرغم من الازمات التي واجهت المفاوضين نضجت هذه المفاوضات في أيار من العام 1993 وتمخضت عن صبغة توافقية «اتفاقية مبادئ» لكن التوقيع عليها لم يتيسر إلا بعد تبادل رسائل بين إسرائيل وبين منظمة التحرير تناولت الاعتراف المتبادل بين الطرفين. حيث تم من خلال رسالة موقعة من قبل رئيس الحكومة، يتسحاك رابين، الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني وفي الحين ذاته اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية من خلال رسالة موقعة من قبل رئيس المنظمة، ياسر عرفات، بدولة إسرائيل وقرارات هيئة الأمم المتحدة 242 و- 338.

شملت هذه الرسالة تعهد منظمة التحرير بالتنصل من الاعمال العدائية وبتغيير الميثاق الوطني الفلسطيني. لقد شكل الاعتراف المتبادل بين إسرائيل وبين منظمة التحرير الفلسطينية انطلاقة مكنت من التوصل في النهاية إلى اتفاقية.

جرت المحادثات مع الفلسطينيين بالتوازي مع المحادثات الجارية مع السوريين. لقد أثار قرار رابين التركيّز على المفاوضات مع الفلسطينيين غضب السوريين حيث عبروا عن هذا الغضب من خلال تفعيل حزب الله في لبنان. مما جعل الحدود الشمالية تعود لتصبح مركز للعمليات العدوانية ضد إسرائيل، وللعمليات الارهابية ضد قوات جيش الدفاع والبلدات الشمالية التي انطلقت من المناطق اللبنانية. قرر رابين الرد على أثر اختطاف وقتل أحد جنود جيش الدفاع بالقوة، حيث شن جيش الدفاع في الخامس والعشرين من تموز من العام 1993 حملة «تصفية الحساب» التي استهدفت تجمعات حزب الله واستمرت سبعة أيام قام خلالها جيش الدفاع بقصف جنوب لبنان وتسبب في نزوح آلاف المواطنين.

مثلما جرى أثناء عملية ابعاد أعضاء حماس جرى الآن حيث تعامل رابين بيد من حديد ضد العدوانية وفي نفس الوقت واصل العملية السياسية. تم بواسطة مساعدة أمريكا انهاء الحملة والتوصل إلى تفاهمات أدت إلى تحقيق الهدوء في المنطقة. لكن المحادثات مع سوريا تواصلت على نار هادئة.

تم في 31 آب تقديم اتفاقية المبادئ» التي تم التوصل إليها في أوسلو لمصادقة الحكومة حيث تمت المصادقة عليها بأغلبية ساحقة بعد مرور 14 شهرا فقط على انتخابه لرئاسة الحكومة وبذلك يكون قد أوفى بتعهده للناخب.

تم في 31 أيلول 1993 التوقيع خلال جو احتفالي في البيت الأبيض بالأحرف الأولى على «اتفاقية أوسلو» حيث شكلت المصافحة بين رابين وبين ياسر عرفات ووقوف الرئيس كلينتون خلفهم أوج الحفل وأعطته مكانة حدث تاريخي.

حددت مبادئ أوسلو مراحل تقدم العملية السلمية حيث ضمت اتفاقية مؤقتة لمدة خمس سنوات. سيؤدي نحاجها لإجراء مفاوضات مباشرة حول تسوية دائمة — لاتفاقية حول القضايا الشائكة في أورشليم القدس، اللاجئين والمستوطنات.

مع التوقيع على اتفاقية المبادئ انتهى «الخيار الأردني» الذي كان يسعى رابين إليه على مدار سنوات والذي كان يرى فيه الحل المطلوب للقضية الفلسطينية. بحسب اتفاقية المبادئ شكلت في مناطق الحكم الذاتي سلطة فلسطينية تتحمل المسؤولية عن حياة السكان لغاية التوصل لتسوية دائمة. مع ذلك بقيت المسؤولية عن الأمن في يد إسرائيل.

تلاءمت هذه التسوية مع رؤية رابين بالنسبة للتقدم نحو السلام على مراحل تماما كما نهج أثناء التوصل لاتفاق مع مصر خلال فترة ولايته الأولى كرئيس للحكومة. لقد أحدث التوصل إلى هذه الاتفاقية دفعة واحدة تحسينا في مكانة إسرائيل في العالم. من ضمن ذلك قام رابين أثناء عودته من الولايات المتحدة بزيارة رسمية لدى الملك الحسن الثاني، ملك المغرب حيث حظي باستقبال حار.

تم في 23 أيلول عرض الاتفاقية على الكنيست للمصادقة عليه حيث تمت المصادقة عليه بأغلبية ساحقة بنتيجة 61 صوتا مقابل 50 صوتا وسط معارضة شاس ودعم أعضاء الكنيست العرب.

قامت شاس على أثر هذه الاتفاقية بالخروج من الائتلاف الحكومي. من هنا لم تكشف الخلافات في الرأي داخل الحكومة إلا اليسير من الخلافات داخل المجتمع الإسرائيلي. قام معارضو الاتفاقية ومن ضمنهم المستوطنين بمهاجمتها مما عمق الخلاف بين معارضي الاتفاقية وبين معارضيها.

«أنا شخص عجوز. خدم في الجيش 27 عاما. كما أن نجلي خدم أيضا وها هو حفيدي يخدم الآن. هيا نعطي أملا ألا يضطر حفيدي للمحاربة أن كانت هناك حاجة للحرب. أنا واثق بأن الجيل الرابع سيقوم بذلك، لكنني أشعر بالمسؤولية عن جعل ذلك بحدث»

في ساحات البت الأبيض في الطريق لتوقيع اتفاقية أوسلو الأولى،
13 أيلول 1993. بلطف مكتب الصحافة الحكومي
اصوير: افي أوحانا

اتفاقية السلام مع الأردن

بنيت علاقات إسرائيل مع المملكة الأردنية على مدار سنوات طويلة على اتصالات سرية بين الملك حسين وبين قادة إسرائيليين من بينهم رابين. من هذا المنطلق رأى الكثيرون في إسرائيل صديقا وشخصية ستقوم بالتوصل إلى سلام دافئ بين الدولتين. كان من الواضح لدى الطرفين بأن المحادثات الثنائية التي بدأت بين إسرائيل والأردن لعقد مؤتمر مدريد «عالقة» ويجب البحث عن مسار جديد.

تم في التاسع عشر من أيار من العالم 1994 عقد لقاء سري بين رابين والملك حسين. كان اللقاء قصيرا مع ذلك تم خلاله وضع الأسس لاتفاقية السلام. بدأت هذه المحادثات حالها حال المحادثات مع الفلسطينيين بدون تدخل أمريكي.

كان من الواضح للقائدين بأن تقدم العلاقات مع الأردن لن يكون ممكنا إلا بعد التقدم في المفاوضات مع الفلسطينيين وأنه بدون تقدم من هذا القبيل لن يتمكن ملك الأردن من الدخول الى مفاوضات علنية. استمر تنفيذ الاتفاقية مع الفلسطينيين لكن استمرت في الحين ذاته العمليات العدائية.

انفجرت في نيسان 1994 سيارة ملغمة في مدينة العفولة، وكذلك انفجرت بعدها بأسبوع سيارة مفخخة في مدينة الخضيرة حيث تمخضت هاتان العمليتان عن مقتل 13 مواطنا. زادت هذه العمليات العدائية الشعور بأن الاتفاقية مع الفلسطينيين لا توفر أمنا شخصيا لمواطني إسرائيل. إلى جانب ذلك أدى الغليان إلى تراجع في حماس مؤيدي الاتفاقية.

تعالت أصوات معارضو الاتفاقية وعلى رأسهم المنظمة الشاملة للمجالس البلدية للمستوطنات اليهودية في الضفة الغربية «ييشا» ولم يبخلوا حتى بإسماع عبارات شجب قامت غير مرة بإسكات أصوات الأمل التي بعثتها العملية السلمية. كلمات التحريض التي كان يطلقها حاخامات عنصريون أيضا عززت المحرضين. لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد بل تعدى الاحتجاج المشروع والديمقراطي على سياسة الحكومة في بعض الأحيان الخطوط الحمراء وتحولت لتحريض شخصي خطير.

بموجب اتفاقية «غزة واريحا أولا» وصل عرفات إلى غزة وتم استقباله هناك بالتمجيد والتهليل. الشرطة التي تشكلت بموجب الاتفاقية كان يفترض أن تؤمن الحفاظ على الهدوء لكنها لم «تفلح» في منع استمرار وقوع العمليات العدوانية.

زاد رابين من جهوده المبذولة لإعادة الشعور بالأمن للجمهور وسط إصغاءه لردود فعل الجمهور. لقد طرحت إمكانية توقف المحادثات ولو لبعض الوقت لكن رابين رفضها حيث كان بالرغم من مخاوفه على قناعة بأنه كلما تقدمت العملية السلمية سيعود الأمن معها أيضا. إلى جانب هذه القناعة استمرت المفاوضات مع الأردن أيضا.

استمرت الاتصالات المكثفة خلال شهر حزيران مع الأردن حيث تمخض عنها في الخامس والعشرين من حزيران من العام 1994 التوقيع في واشنطن على وثيقة مشتركة بين رئيس الحكومة، يتسحاك رابين، الملك حسين، ملك الأردن ورئيس الولايات المتحدة بيل كلينتون. أعلن الطرفان إسرائيل والأردن في هذه المناسبة، عن انهاء حالة الحرب بين الدولتين، إحدى المشاكل العويصة كانت مشكلة أورشليم القدس حيث اتفق الطرفان على ان تبقى مفتوحة للتفاوض مع الفلسطينيين. واصل رابين من منطلق وجهة نظرة التي ترى بأنه يجب أن تبقى أورشليم القدس تحت السيادة الإسرائيلية توسيع الأحياء اليهودية المحيطة بأورشليم القدس ومن بينها معالية أدوميم.

تم في 26 من تشرين الأول 1994 التوقيع في العربة خلال جو احتفالي على اتفاقية سلام بين دولة إسرائيل وبين المملكة الأردنية تم من خلالها ترسيم الحدود بين الدولتين. لكن مسألة أورشليم القدس بقيت مفتوحة للتفاوض مع الفلسطينيين. بينما تم تأمين إعطاء الأردن مكانة خاصة في الأماكن المقدسة.

نالت الاتفاقية مع الأردن اجماعا واسعا وتمت المصادقة عليه في الكنيست وسط دعم جميع الأحزاب ما عدا حزب «موليدت». كما وكانت هذه الاتفاقية مرحلة هامة بشأن بناء علاقات مع دول عربية ودول إسلامية أخرى. لقد بعثت الاتفاقية الفرح وارتفاع الروح المعنوية لدى الجمهور الإسرائيلي كما واستقبل العالم هذه الاتفاقية بالحماس. حيث تم على أثرها دعوة رابين إلى عواصم العالم وتلقى تأييد حكوماتها في استمرار العملية السلمية لكن العمليات العدوانية المتكررة واصلت تعكير هذه الفرحة.

أصيب خلال العمليات العدوانية التي وقعت في خط الباص رقم 5 بالقرب من ديزنغوف سنتر في تل أبيب، وفي العملية العدائية المزدوجة في مفترق بيت ليد، في مفترق عليت في رمات غان، وفي خط باصات 26 في أورشليم القدس قتل عشرات الأشخاص وأصيب مئات مما زاد من غضب الجمهور الإسرائيلي وحتى أثيرت شكوك بين أوساط مؤيدي العملية السلمية.

مراسم توقيع معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن في العربة 26 تشرين أول 1994
بلطق مكتب الصحافة الحكومي
تصزير: يعكوف ساعر

بعد عودة عرفات إلى غزة بيوم وليلة نظم معارضو الاتفاقية بمشاركة رؤساء الليكود ومن ضمنهم ارئيل شارون وبنيامين نتنياهو في «كيكار تسيون» في أورشليم القدس مظاهرة حاشدة هاجموا من على المنصة مشروعية سياسة الحكومة المنتخبة. حيث هاجم الخطباء اتفاقية أوسلو وموقعيه بشدة وسط عدم التحفظ في الشتم.

وهو لا يزال في مرمى الهجمات الشديدة وصل الاعتراف الدولي بعمله إلى أوجه. جرت في العاشر من تشرين الأول في أوسلو مراسم توزيع جواز نوبل للسلام للعام 1994 حيث كان الفائزون بالجائزة كلّ من يتسحاك رابين، شمعون بيرس وياسر عرفات. تم تفسير اختيارهم لنيل الجائزة على أنه دعوة لمن يسعون لتحقيق السلام للاستمرار في السير على دربهم وجعل العملية الصعبة تنتهي. كانت المباركات والتمنيات تأتي من كل فج. مع ذلك عكر الحزن الشديد على ضحايا العمليات العدوانية صفو هذه المناسبة.

كانت المسيرة نحو تسلم الجائزة في أوسلو ما هي إلا استراحة قصيرة من عمل رابين وذلك في ظل علمه بأنه قد بقي أمامه عاما واحدا وتنتهي فترة ولاية حكومته حيث رأى رابين في تحقيق السلام مع الدولة المعادية الشمالية، سوريا، اكمال لمهمته. من هذا المنطلق تم إحياء المفاوضات التي كانت قد جمدت في صيف 1993. وذلك على أمل أن ينعكس تقدم المحادثات مع الفلسطينيين ومعاهدة السلام نع الأردن على المحادثات مع سوريا. إلى جانب معارضي العملية السلمية من المستوطنين وأعضاء يشيا انضمت أيضا التنازلات في الجولان. التي ترأست النضال لأجل معارضتها «هدريخ هشليشيت» وهي حركة جديدة قامت مؤخرا وأهم اهتماماتها هي معارضة الانسحاب من الجولان.

من بين مؤسسي هذه الحركة سكان البلدات في الجولان، محاربين ممن شاركوا في احتلال الجولان في حرب الأيام الستة وكذلك أصدقاء مقربين لرابين من أيام البلماح. بصفته رئيسا للأركان خلال حرب الأيام الستة تصادم رابين مع سكان بلدات الجولان.

قام غير مرة خلال تبادل الحديث باستخدام لغة الاستخفاف، وذلك على الرغم من استعداده بتقديم تنازلات وعلى الرغم من الجولات المكوكية المكثفة التي قام بها ممثل الحكومة الأمريكية لم يتم التوصل إلى اتفاق. كانت الترتيبات الأمنية والتطبيع هما اللتان افشلا هذه العملية.

أصبح من الواضح في مستهل أيار 1995 بأن هذه المفاوضات لن تأتي ثمارها المتوقعة كما أن الوقت القصير المتبقي أمام رابين لغاية موعد الانتخابات القريبة أصبح الآن يملي على رابين خطواته. حيث كرس جميع جهوده في دفع التوصل إلى اتفاق مع الفلسطينيين. من هنا تركزت المحادثات معهم على لوائح تنفيذ «اتفاقية المبادئ» الزمنية وتنفيذ هذا الاتفاق.

جرت المحادثات بالسر وبالعلن حيث اهتم المفاوضون بالتفاصيل واستعانوا بالأمريكان وكذلك بالرئيس المصري، حسني مبارك، وبالملك الأردني، الملك حسين.

كلّ مرحلة من مراحل المفاوضات كان يعرض على رابين للمصادقة عليه. تكمن الصعوبة في المناطق الحساسة في مناطق الضفة الغربية التي توجد فيها كتل استيطانية يهودية. استمرت العمليات العدائية خلال المناقشات أيضا. حيث قتل خلال الفترة الواقعة بين تشرين الثاني وآب 1995 على يد الانتحاريين الفلسطينيون 40 مواطنا. كان رابين خاضعا للتوتر الذي يمليه عليه التزامه بإنهاء الدائرة الدموية ونجاح العملية السلمية من جهة وبين الضغوطات الداعية إلى وقف المحادثات ولو لبعض الزمن. لقد كرر مطالبته لعرفات بتكثيف محاربته للإرهاب الذي يهدد استمرار وجود فرص السلام. كما وأنصت لعبارات الذم التي تزايدت وتفاقمت وأصبحت تحريضا علنيا. وأخذت تحرض ضده وضد العملية التي قادها. ظهر معارضوه في كلّ مكان كان يظهر فيه وذمه وذموا سياسته لدرجة لم يبقى بين القول والفعل إلا خطوة واحدة. تواصلت المفاوضات طوال الوقت في ظل العمليات العدوانية. مع ذلك تم التوصل الاتفاقات بشم القضايا الأساسية.

جرت في 28 أيلول 1995 في واشنطن مراسم توقيع «اتفاقية أوسلو الثانية» حيث مثل إسرائيل في هذه المراسم رابين وبيرس والفلسطينيين عرفات وأبو مازن مرة أخرى وقف الزعماء أمام الكاميرات على ساحات البيت الأبيض وتم بحضور الرئيس الأمريكي، بيل كلينتون، توقيع الاتفاقية. لقد اكسب وجود حسني مبارك الاتفاقية معنى خطوة كبيرة للتصالح بين إسرائيل وجاراتها. حددت الاتفاقية بأن تستمر المفاوضات بحيث يتم في نهاية ثلاث سنوات التوقيع على الحل الدائم. كان يفترض أن تحل جميع المشاكل الكبيرة التي لا زالت مفتوحة خلال هذه السنوات الثلاثة.

كانت الاتفاقية من ناحية جوهرها عبارة عن اتفاقية مؤقتة لمدة ثلاث سنوات. التقدم الذي ام تحقيقه أبقى المشاكل العويصة إلى المرحلة القادمة. كان من الواضح للجانبين بأن المفاوضات ستكون ملتوية وأصعب من سابقاتها. حيث طلبت صلب التاريخ اليهودي وصلب التاريخ الفلسطيني. كان يقترض أن ينسحب جيش الدفاع في المرحلة الأولى من ستة من بين المدن الكبيرة في الضفة الغربية السبعة.

تم بحسب الاتفاقية تقسيم الضفة الغربية إلى ثلاثة فئات: مناطق A - يتم تسليمها فورا لتكون تحت المسؤولية المدنية والأمنية الفلسطينية، مناطق B - تبقى المسؤولية الأمنية عنها في يد جيش الدفاع، ومنطقة C - تبقى تحت المسؤولية المدنية والأمنية الإسرائيلية.

عمليا قامت إسرائيل بموجب الاتفاقية بنقل ثلاث الضفة الغربية للفلسطينيين. لقد رأى الفلسطينيون في الاتفاقية شيه اعتراف بقيام دولة فلسطينية مع أن هذا المصطلح لم بتم تضمينه الاتفاقية. القضايا الشائكة قضية أورشليم القدس وقضية اللاجئين تم تأجيلها للمرحلة القادمة من المحادثات.

قبيل المصادقة على الاتفاقية في الكنيست اساعد معارضوه لصد عملية المصادفة فنظموا المظاهرات ووقفات احتجاجية ضد الاتفاقية وضد رابين نفسه الذي توصل إليه. أخذت مظاهر التحريض التي اسمعتها أوساط المتظاهرين تكتسي بمزيد من طابع العنيف ونال تأييدا علنيا من قبل حاخامات.

تم في الثاني من تشرين الأول علنا تنظيم مراسم توراتية قديمة «فولسا دنورا» وتم خلالها الاعلان عن رابين على أنه ملعون ومنبوذ. هناك من فسر هذه المراسم على أنها هدر لدم رئيس الحكومة.

دُعي معارضي الاتفاقية عشية اتخاذ قرار في الكنيست في الخامس من تشرين الثاني مرة أحرى إلى «كيكار تسيون» في أورشليم القدس لإسماع صوتهم حيث قام رؤساء المعارضة خلال وقفة احتجاجية حاشدة بإسماع صوتهم من على شرفة أحد المنازل المطلة على «كيكار تسيون».

ألقيت من على المنصة كلمات قاسية تذم الاتفاقية وتهاجم مشروعيته. كما وقام متطرفون بين الجمهور بإطلاق كلمات ازدراء ولم يسكتهم أحد حتى أن من كان ديدنه استخدام اسلوب الكلمات النابية لا يستطيع إلا يشعر بأن هذه الكلمات تحدت جميع الحدود.

لقد رأى رابين المناظر وسمع الأصوات، لكنه لم يتزحزح عن رأيه حيث كان مقتنعا بأن يقف على مفترق تاريخي، لان هذه الوقت هو وقت القيادة الحازمة التي تعرف طريقها. قام مؤيدوه الذين شعروا بالأجواء الهشة بحثه على تكثيف وسائل الحذر التي من شأنها أن تحمية حتى أنه رفض نهائيا اقتراح حول حماية جسمه بسارة واقية.

وسط أجواء متوترة تم عرض الاتفاق في 6 تشرين الأول 1995 للمصادقة عليه في الكنيست قتمت المصادقة عليه بأغلبية ضئيلة بلغت 61 صوتا مقابل 59 صوتا. كان من بيم المؤيدين أعضاء الكنيست العرب الخمسة مما جعل المعارضون يطلقون أصواتا اعترضت على مشروعية القرار الذي تم اتخاذه بواسطة أغلبية غير صهيونية.

«في هذا ليس فحسب دول تبرم سلاما مه بعضها البعض، ليس شعوبنا فحسب تتصافح هنا في العربة لتحقيق السلام. بل تقوم أنا وأنت هنا بصنع سلامنا، سلام جنود، سلام أصدقاء»

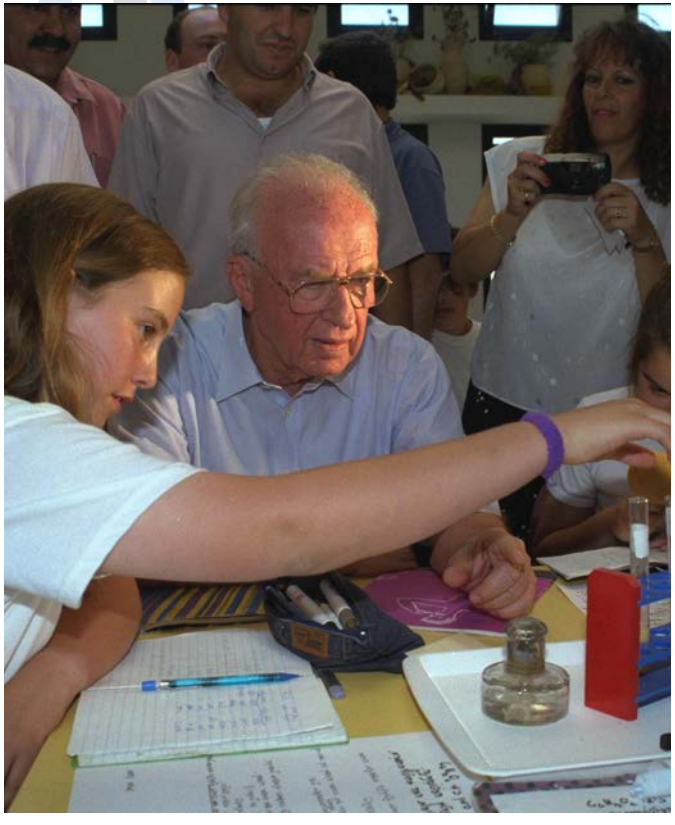

مع الرئيس كلينتون وايتان هابر، واشنطن، 24 تشرين الأول 1995
بلطف مكتب الصحافة الحكومي
تصوير: اي احيون

ليلة جريمة القتل

وقع الامتحان الأول المتمثل في «اتفاقية أوسلو الثانية» في شهر تشرين الأول. حيث قام معارضو الاتفاق وخاصة المجاهرين منهم الذين ينتمون لحركات متطرفة تقع خارج الاجماع العام بإثارة الحماس في المجتمع كما وحاولوا أيضا التصرف وسط استخدام القوة في الأماكن التي كان يتواجد رابين فيها.

من الناحية القضائية، تصعّب القضاء في توفير حلا لائقا لهذا الوضع.

تحولت لغة التجريح وأصبحت جزء من الخطاب العام. مان رابين متيقظا لجميع التطورات. في ظل ذلك استمد تشجيعا كبيرا من حفاوة الاستقبال الذي حظي لها في الخامس والعشرين من تشرين الأول في البيت الأبيض. حيث تم استقباله هناك بحفاوة بالغة. كما وحظي بنفس الحفاوة أثناء الاحتفالات بمناسبة ذكرى تأسيس أورشليم القدس حيث بارك الشعب اليهودي خطواته. شعر «معسكر السلام بأنه منذ زمن لم بظهر تعبيرا علنيا لائقا لتأييده لخطوات رئيس الحكومة وأنه أهمل الشارع لمعارضيه. مما حدا بشخصيات ومنظمات ممن كانوا يحسبون على هذا المعسكر باتخاذ قرار بتوفير تعبيرا لائقا للتأييد الواسع الذي تحظى به خطوات الحكومة.

بفعل الحوار بين منظمات وشخصيات من أوساط مختلفة في المجتمع الإسرائيلي تنظيم وقفة تأييد لرابين ولسياسته. عندما تم إطلاع رابين على سر التحضيرات لهذه الوقفة لم يبدي حماسا تجاه الفكرة، لكنه لعد وقت ما قرر الاستجابة للدعوة وإلقاء خطابا في هذه الوقفة.

تم تنظيم الوقفة مساء السبت على الأحد، في الرابع من تشرين الثاني في ميدان »ملكي يسرائيل» في تل أبيب، تحت عنوان »نعم للسلام لا للعنف». بدأت قبيل المغرب الحشود تشق طريقها إلى الميدان حيث حضرت الجماهير من جميع أرجاء البلاد، أولياء أمور مع أطفالهم، أعضاء مجموعات شبيبة، رجال أعمال، مواطنون من المدينة ومن القرية، من المدن الكبرى ومن الضواحي، فنانون وأدباء، مؤيدون من شتى الأحزاب.

عندما وصل إلى المكان ووقف على المنصة غمرته سعادة كبيرة عندما رأى الحشود التي تصفق. لأول مرة منذ زمن، إدرك بأن معسكر مؤيدي السلام كبير وكثير، وشعر بأمواج تشجيع الجمهور له ولخطوات الجريئة التي قادها، فنبلج وجهه.

في نهاية الوقفة وهو في طريقه إلى السيارة، رشقه في ظهره قاتل يهودي بثلاث عيارات نقل على أثرها المستشفى ليحاول الأطباء عبثا إنقاذ حياته.

وفي تمام الساعة 23:14 توقف قلب رئيس الحكومة، بتسحاك رابين، عن النبض.

»تُعتبر العنف تآكل في أسس الديمقراطية الإسرائيلية. ينبغي شجبه، استنكاره، عزله. هذا ليس اسلوب دولة إسرائيل»

ورقة تحتوي على كلمات «أغنية للأجل السلام» كانت في جيب رابين, عثر عليها لعد جريمة القتل ملطخة لدمه، في الرابع من تشرين الثاني 1995
بلطف مكتب الصحافة الحكومي
تصوير: يعكوف ساعر.

שיר לשלום
תנו לשמש לעלות
לבוקר להאיר
הזכה שבתפילות
אותנו לא תחזיר
מי אשר כבה נרו
ובעפר נטמן
בכי מר לא יעירו
תנו לשמש לעלות
לבוקר להאיר
הזכה שבתפילות
אותנו לא תחזיר
אל תגידו יום יבוא
הביאו את היום
כי לא חלום הוא
ובכל הכיכרות
הריעו שלום

تشكل الكراسة »نبذة قصيرة» تكملة لعرض فصول حياة يتسحاك رابين المعروضة في المتحف الإسرائيلي في مركز رابين في تل أبيب. وتسرد الفصول الهامة في حياة رئيس الحكومة وتتناول تطورات مواقفه السياسية والأمنية من خلال المهام الكثيرة ومن خلال التغيرات في الحلبة السياسية في البلاد وفي العالم.

كان رالبن »السابر» اليهودي من مواليد فلسطين الأول الذي شغل منصب رئيس حكومة إسرائيل، مثل رابين من حلال حياته قصة إحياء الوجود اليهودي في أرض إسرائيل، قصة دولة إسرائيل المعتمدة على قوتها والمعترفة بقيودها، والتي تبحث طرق للتعايش بسلام مع الدول العربية ومع الشعب الفلسطيني، حتى لو كان ثمن ذلك القيام بتنازلات مؤلمة عن أجزاء من أرض إسرائيل.

مقابل لاستعداد لتقديم تنازلات مقابل السلام — دفع رئيس الحكومة، يتسحاك رابين بحياته.

The Yitzhak Rabin Center
شارع حاييم لبنون 8، رمات أبيب — تل أبيب
www.rabincenter.org.il
جميع الحقوق محفوظة،